مجلة البيان – العدد 43 ، ربيع الأول 1412هـ / أكتوبر 1991م

الافتتاحية

هل هذا من السياسة

إذا أردنا لحياتنا الفكرية أن تستقيم ويكون للكلمة معنى وتأثير ، فلا بد من أن نحدد المصطلحات التي يثار حولها الجدل أو تستعمل في غير معناها الحقيقي ، وإن كلمة (سياسة) من هذه المصطلحات التي يمارس باسمها كل أنواع التهريج والعسف والخسف . وقد قرأت للمفكر الجزائري مالك بن نبي -رحمه الله- تفريقاً دقيقاً بين كلمتين : (السياسة) و (البوليتيكا) فالكلمة الأخيرة وإن كانت تعني في اللغات الأوروبية : السياسة ولكن، بعض الناس أطلقوها على الذين يتقنون فن التهريج والمكر والكذب على الشعوب، أو يتخبطون في الأحلام والأوهام ، وأطلقها هذا المفكر على الساسة المعاصرين له الذين يمارسون (البوليتيكا) وبظنون أنهم يمارسون السياسة.

السياسة توجيه محدد وأهداف واضحة ، وفعل الممكن ، هذا عند من يعتمد على ثقافة معينة وتجارب تاريخية ، وأما عند المسلم فهي »استصلاح الخلف بإرشادهم إلى الطريق المنجي في الدنيا والآخرة«(1). فهي سياسة شرعية مبنية على أصول ثابتة من القرآن والسنة وسيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- ، وسيرة الخلفاء الراشدين . وما كتبه العلماء حول هذا الشأن . ونحن عندما نفرق بين السياسة القائمة على أصول ثابتة مع مراعاة المصلحة الشرعية وظروف الواقع وبين ما يسمى سياسة : فلأننا ندرك حجم المأساة التي جرتها ممارسة (البوليتيكا) على الدعوة والدعاة في العصر الحديث حيث المواقف المتناقضة ، والدخول في الصراعات التافهة بين الأحزاب . ويحق لنا أن نتسائل: هل من السياسة أن تعقد عقداً أو تهادن عدواً ثم تنقضه في السر بحجة المصلحة وتظهر أمام الناس أنك تكيل بمكيالين وتتناقض مع مبادئك ؟ و الإسلام لا يبيح هذا، جاء في سورة الأنفال :

((وإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ)) [الأنفال:58].

أي إذا خفت »وتوقعت من قوم خيانة بنقض عهدك ، وهذا يظهر لك بالدلائل القوية فاقطع عليهم طريق الخيانة بأن تنبذ إليهم عهدهم أي تعلمهم بفسخه على طريق سوي واضح لا خداع فيه ولا استخفاء ولا خيانة حتى تكون أنت وهم في العلم سواء ، والحكمة في هذا النبذ أن الإسلام لا يبيح لأهله الخيانة مطلقاً ، وقد روى البيهقي في شعب الإيمان عن ميمون بن مهران قال : »ثلاثة المسلم والكافر فيهن سواء ، من عاهدت فوفِّ بعهده مسلماً

كان أو كافراً ، ومن كان بينك وبينه رحم فَصِلهْا مسلماً كان أو كافراً ، ومن ائتمنك على أمانة فأدها إليه مسلماً كان أو كافراً« (2).
وفي معرض ولاية المؤمنين بعضهم لـبـعـض وأن الذين لم يهاجروا إلى دار الإسلام فليس لهم ولاية وحقوق كمن هاجر ((والَّذِينَ آمَنُــوا ولَـمْ يُهَاجِــرُوا مَا لَكُم مِّن ولايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا)) واستثنى من ذلك إذا قاتلهم الكفار أو اضـطـهـدوهــم لأجل دينهم فيجب على دولة الإسلام والمسلمين في دار الإسلام نصرتهم))وإن استنصركم في الدين فعليكم النصر((ثم استثنى من هذا الحكم حالة واحدة فقال : »إلا على قوم بينكم وبـيـنـهــم مـيـثاق« يعني »إذا استنصركم فانصروهم إذا كانوا في دولة كافرة محاربة ، أما إذا كانوا في دولة كافرة ولكنها مـعـاهـدة فهؤلاء يجب الوفاء بعهدهم لأن الإسلام لا يبيح الغدر والخيانة بنقض العـهــود والمواثيق« (3).
وجاء في صحيح مسلم عن الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان قال :
»مــا منعني أن أشهد بدراً إلا أني خرجت أنا وأبي: حُسيل ، قال : فأخذنا كفار قريش ، فـقــالوا : إنكم تريدون محمداً ، فقلنا : ما نريده ، ما نريد إلا المدينة ، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفنّ إلى المدينة ولا نقاتل معه ، فأتينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأخبرناه الخبر فقال :
"»انصرفا ، نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم« "(4).
إلى هــذا الــمــرتقـى يرتفع الإسلام ويراعي العهود والعقود ، ونتساءل مرة ثانية : هل من السياسة ما يفعله البـعــض من إمساك العصا من الوسط ويعتبرها سياسة دائمة له ويظن أن هذا منتهى الكياسة أو يـطـلــق التصريحات العائمة الغائمة فلا يدري السامع ماذا يريد ؟ وماذا يعني ؟ وهل من الســيـاسة رفع شعارات لا يؤمن بها صاحبها ، وما رفعها إلا إرضاء للعامة وغوغاء الناس أو إرضاء لفـئــة مــن الناس يحبون العيش فترة من حياتهم في أحلام اليقظة أو تستثيرهم التصريحات العاطفية.
قد يضطر المسلم للتورية أحياناً أو يصرح تصريحات عامة في ظروف معينة ، ولكن أن يكون هذا ديدنه فهذا أقرب إلى الضعف والخور يلبسهما لبوس السياسة بزعمه . ونحن نعتقد أن الـحـرب خـدعــة وأنــه قــد يستعمل المكر مع الأعداء ولكن هذا يختلف عن التصريحات الكاذبة أو نقض العهود . إن بعض أسباب ممارسة هذه (البوليتيكا) واضحة لمن يتأمل واقع المسلمين ، فهذا الذي يتحدث، ويطلق التصريحات الفضفاضة والتي هي أكبر منه ، وهذا الذي يقود ويتزعم ... هؤلاء ليسوا من رجال الفطرة الذين يملكون الشجاعة والروح الوثابة والروح الإيمانية الغامرة التي تدفعهم للتغيير، ذلك لأنهم نشأوا في ضعف وهزيمة، الواحد منهم لا يملك الاستعداد للأمور العظيمة ، فهو دائماً في منتصف الطريق ، وهو دائماً يمسخ المشاريع الكبيرة ليحيلها إلى

(سياسة) حسب مفهومه فهو مستعد »لنصف جهد، ولـنـصـف اجتهاد ونصف طريق« (5).
وبـعضهم لم يكن يتصور في يوم من الأيام أنه سيقود الجموع وتفتح له أبواب الجاه مشرعة فـلـمـا وســد إلـيـه الأمر ، لسبب وجاهته أو فصاحته أو ... لم يكن يصدق ذلك فرجع إلى طبيعته من الضعف واستغل هذا لتحقيق أهدافه الدنيوية التافهة.
إذا أردنا التغيير فـلابـد مــن رجــال الفـطــرة الذين يفهمون السياسة الشرعية فهما دقيقاً ويكفون عن ممارسة (البهلوانية) والظهور بوجـهـيـن ، وإطـلاق الـتـصـريـحــات الـعاطفية ويواجهون الواقع بحذر وحزم وعزم.

***

»فليس للانحراف طرق مرسومة نظرياً ولكن له دروباً مظلمة يتعثر فيها السائر في كل خطوة«.

مالك بن نبي

الهوامش :

1- التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون 1/665.
2- رشيد رضا/تفسير المنار 10/53.
3- المصدر السابق 10/108.
4- صحيح مسلم 3/1414 كتاب الجهاد/1787.
5- مالك بن نبي شروط النهضة/110. 665/1

علماء الاجتماع والعداء للدين وللصحوة الإسلامية (4)

رجال الاجتماع ومهمة تفكيك الدين

د. أحمد إبراهيم خضر

تناولنا فـي الحلـقـة الـمـاضـيـة قـضـيـة اتهام رجال الاجتماع في بلادنا لشباب الجماعات الإسلامية بالتطرف ، وبأنهم مرضى عـقـلـيون يمثلون شخصيات مريضة تعاني من الجنون الدوري ، أو جنون الاضطهاد والعظمة ، وبـيـنـا سـقـوط هذا الادعاء على أساس ما توصل إليه مائة متخصص ومهني من علماء الطب النفسي في عام 1980 بالولايات المتحدة من أنه لا علاقة بين الإصابة بالأمراض العقلية والسلوكيات وخـاصــة الـتـطـرف . كـمـا عـرضـنـا لاعـتـراف رجال الاجـتـمـاع بأن البديل لانضمام الشباب إلى الجماعات الإسلامية هو إما الهجرة أو ممـارســة الأعـمـال غـيـر المشـروعة : كالاتجار في المخدرات ، أو الرشوة ، أو التهريب ، أو ممارسة الجريمة التقليدية،وغير التقليدية. كما سجلنا على رجال الاجتماع اعترافهم بأصالة القيم التي يحملها

شباب الجماعات الإسلامية ، وبأن التجاءهم إلى الدين قد حماهم من الدمار الشامل الذي أصيب به غيرهم من الشباب.
ونتناول في هذه الحلقة الأسباب التي تكمن وراء سعي رجال الاجتماع في بلادنا لتفكيك الدين ، ودور الدولة في تمهيد الطريق لإنجاح هذه المهمة.

لماذا يرى رجال الاجتماع في بلادنا أن تفكيك الدين ضرورة؟

يدرك رجال الاجتماع في بلادنا تمام الإدراك أن الإسلام يقدم تصوراً معرفياً لتفسير العالم الاجتماعي ، وأنه لا يمكن تصور استقلالية لهذا العالم إلا في حدود (المشروع الرباني) الذي يمنحه إياها - هكذا قالوا بنص عباراتهم - كما يدركون أيضاً أن هذا الإسلام يشكل نمطاً للبناء الاجتماعي وإطاراً مرجعياً يلجأ إليه الناس بطريقة تلقائية للتفكر في هذا العالم الذي يعيشون فيه . ويرفض علم الاجتماع ذلك لأنه يريد أن يقدم معطيات الحياة الاجتماعية من عنده تحت غطاء تعرية هذه المعطيات ، ولهذا السبب كان انتقاد علم الاجتماع للدين جزءاً لا يتجزأ من طبيعة تكوينه ، وكان صدامه مع الدين أمراً لا مفر منه ، وإذا التقيا فإن التقاءهما لا يمكن أن يتم إلا عبر صراعات.
يقول محمد شقرون أستاذ الاجتماع في جامعة محمد الخامس بالمغرب:
»تدخل السوسيولوجيا في هذا المجال في صدام مع الدين ، إنها تصطدم به من جهة ، لأن الدين يشكل نمطاً للبناء الاجتماعي للواقع ، ونسقاً مرجعياً يلجأ إليه الفاعلون الاجتماعيون بكيفية تلقائية لتفكر العالم الذي يعيشون فيه . ويشكل هنا انتقاد الدين جزءاً لا يتجزأ من تعرية المعطيات التلقائية للتجربة الاجتماعية، حيث تكون الوقائع السوسيولوجية ملتصقة . وتشكل هذه التعرية نقطة عبور لا مفر منها في عملية موضعة هذه المعطيات . وتلتقي السوسيولوجيا بالدين كذلك في الوقت الذي يعتبر الدين تصوراً عرفانياً لتفسير العالم الاجتماعي والذي لا يمكن أن يتصور استقلالية لهذا العالم إلا في حدود المشروع الرباني الذي يمنحه إياها ، لهذا فإن التقاء السوسيولوجيا بعلم اللاهوت لا يمكن أن يتم إلا عبر صراعات« (1).
يريد رجال الاجتماع في بلادنا إخضاع الدين لتحليلاتهم وتفسيراتهم وتصوراتهم. وفي أذهانهم اعتقاد خاطئ بأن الدين كان ولا يزال ينافس العلم في العالم العربي ، وغاب عنهم تماماً أن الدين والعلم في الإسلام متساندان وليسا في تصارع وصدام كالحال في بلاد الغرب. ويعبر محمد شقرون عن هذا الاعتقاد الخاطئ فيقول : »إلا أنه لا يمكن أن نتجاهل الإشارة إلى هذا الصراع الأولي عندما نتكلم عن الشروط التي جعل العلم فيها الدين موضوعاً له ، لأنه قبل لم أن يصبح الدين موضوعاً من بين مواضيع

السوسيولوجيا فإنه كان المنافس لها وما زال ينافسها في مجتمعاتنا العربية الحديثة العهد بالعلم الحديث«(2).
انبثاقاً مــن هــذا التصور الخاطئ بتصادم الدين والعلم في بلادنا قياساً على ما تعلمه هؤلاء من الغرب فإنهم قد أعلنوا ثورتهم على عقيدة الإسلام صراحة ، ووقوفهم إلى جانب العلم تماماً ، وقالوا أنهم إذا خيروا بين عقيدة تحدد لهم أصل الإنسان ومصيره وعلة وجوده ؛ وبين علم يقدم لهم ما يتصورونه أنه معارف وحقائق متاحة أمامهم فإنهم سيختارون طريق العلم بالرغم من اعترافهم بأن إسهام الأخير إسهام محدود.
يقول محمد الجـوهـري أستاذ علم الاجتماع بجامعة القاهرة(3) : ».. ومن الممكن أن نجيب على هذا السؤال .. الأشـيـاء الـتـي يـقـدر الإنـسان على تحقيقها وما هو مدى قدرتها على التكيف بطريقتين مختلفتين الأول (كذا) : على أســاس عقـيـدة دينية أو دنيوية تحدد لنا المسائل المطلقة والنهائية في حياة البشر . عقيدة تحدد لنا أصــل الإنـسـان ومـصـيـره وعلة وجوده ..الخ والطريقة الثانية : أن نجيب على أساس المعارف والحقائق العلمية المـتـاحـة لنا .. وفي الحالة الثانية يتحتم علينا الإقلاع تماماً منذ البداية عن محاولة الوصول إلى أي إجـابـة عـن مـثــل هـــذه التساؤلات النهائية والمطلقة ونقصر أنفسنا على كل ما هو متاح (امبيريقيا) (4) ، أي مــا يمـكـن أن نتوصل إلى إدراكه من الواقع ونستطيع تحليله تحليلاً مفهوماً مقبولاً ، ومن الواضح أننا - المشتغلين بالعلم - لا نفكر سوى في هذا الطريق الثاني طريق المعلم والتأسيس على العلم . كما أننا لا نستطيع كمتخصصين اجتماعيين أن نقدم في هذا الطريق سوى إسهاماً محدوداً ، وهذا قيد نعرفه ونسلم به منذ البداية«.
لم يكتف رجال الاجتماع في بلادنا بـنـاء على هــذا التصور الخاطئ بتصادم الدين بالعلم بإعلان ثورتهم على عقيدة الإسلام ولكنهم اتجهوا أيضاً إلى مهمة أخرى وهي تفكيك الدين سعياً وراء وهم اسمه "استقلالية العلم"، أو بمـعـنـى آخــر: الانفراد بتفسير شؤون الحياة الاجتماعية وفصلها تماماً عن الدين.
تصور رجال الاجتماع أن ممارستهم لهذا العلم لن تتحقق ولـن تـتـم إلا إذا طـرحـوا قضية تفكيك الدين بجرأة وصراحة كضرورة واضحة لهذه الممارسة المزعومة.
يقول محمد شقرون : »إن ضرورة تفكيك الدين من أجل التحرير الضروري لمجال الفكر ، وذلك لإنـتـاج تـأويـل عـلـمـي عــن الاجتماعي لم تطرح بصراحة وجرأة في الوطن العربي كضرورة واضحة لممارسة العلم بـصـفـة عـامـة وممـارسـة العـلـوم الإنسانية بصفة خاصة ، ويرجع هذا بالطبع إلى غياب حقل علمي يتمتع بكامل الاستقلالية عـن السـيـاسـي وعــن الدين نفسه« (5).

وربط رجال الاجتماع بين شرعية ممارستهم للعلم واستمرار صدامهم مع الدين لتحقيق هذه الاستقلالية التي يطمحون فيها ، إلا أنهم رأوا أنه يمكن أن يقبلوا بين صفوفهم - تواضعاً - أي عـالـم مـؤمــن شـريـطة ألا يتحدث عن إيمانه وبهذا كان إقصاء الدين شرطاً ضرورياً لممارسة العلم.
يقول محمد شقرون : »ومازالـت شرعية العمل العلمي مضمونة بالإحالة إلى هذا الصراع من أجل استقلالية المعرفة العلـمـيـة : يقبل عالم مؤمن في مجموعة العلماء شريطة ألا يتحدث عن إيمانه . إن كبر سنه وشـهـرتـه هما اللذان يسمحان له بـ "اعترافات" ذاتية بعيدة عن الممارسة العلمية« (6).
ولو توقــف طموح رجال الاجتماع في بلادنا عند حد السعي لاستقلالية العلم لهان الأمر ، لكنهم لا يكـتـفـون بذلك بـل جـعـلـوا مهمة تفكيك الدين - كما أوضحنا - ضرورة لتأويل وتفسير الحياة الاجتماعية وفقاً لترهـاتـهـم التي يطلقون عليها "علماً" ، إنهم لا يكنون أي احترام للدين الذي يريدون التعامل معه مـثـلـمـا يتعاملون مع أي وقائع أخرى ، ولا زالوا يصرون على التمسك بأسطورة "العقلانية" رغم اعترافهم - كما أوضحنا سابقاً - بسقوطها وإشارتهم هنا على استحياء بأن هذه العقلانية عليها مآخذ.
يقول محمد شقرون : »وطموح السوسيولوجيا الديـنـية يمكن تعريفه في هذا الإطار مهما تكن المآخذ على العقلانية العلمية . ويمكن تلخيص هذا الطموح بكيفية بسيطة : إن الأمر يتعلق فـقـط بمعاملة الوقائع الدينية كما تعامل الوقائع الاجـتـمـاعـيـة الأخــرى مـن الـنـاحـيـة السـوسـيـولوجية ، أي بناء هذه الوقائع وتصنيفها ومقابلتها ومعالجتها بمفهومي العلاقات والصراعات« (7).
ينتظر رجال الاجتماع في بلادنا ما يسمونه (بتراجع الدين) ، يأملون أن تأتي العقلانية - رغم اعـتـرافـهـم بفشلها - بثمارها مثلما حدث في الغرب .
يتوقعون مواجهة منسجمة بين الدولة والإسلام مثلما حدث بين الدولة والكنيسة في الغرب . يطمحون أن تسجل بحوثهم شهادة على تراجــع الـديـن ممثلة في قلة الممارسة الدينية وتطبيق الفروض الدينية وتفكك الشعائر الدينية تحت ضغط التمدن والتصنيع مثلما حدث في الغرب . يشكل هذا التراجع الذي يطمحون إليه بالنسبة إليهم أفقاً فكرياً وثقافياً يسمح لهم بالعبث في النسيج العقيدي لبلادنا وتخريبه.لا يريد رجال الاجتماع في بلادنا أي مقاومة من علماء الدين لمواجهة هذا التخريب،ويسعون إلى الانفـلات مــن قبضتهم مثلما أفلت الغربيون من ضغوط الكنيسة، إن نجاحهم في الإفلات من قبضة علماء الدين سيسمح لهم بعمل مميز في علم الاجتماع ألا وهو - نقد الدين - الذي يمثل أول خطوة في تفكيك الدين.
يقول محمد شقرون : »وإذا كان الإرث الـفـلـسـفـي للعقلانية قد أثر في تطور السوسيولوجيا الدينية في المجتمعات المتقدمة الغربية فإن ذلك يرجــع إلـى الـتـجـانـس الخـاص بتاريخ المواجهة بين الكنيسة والدولة في هذه

المجتمعات من جهة ، ويرجع ذلك من جهة أخرى إلى كون البحوث المقامة حول الوضعية الدينية في هذه المجتمعات قد قدمت إثباتاً أساسياً لمسلمة تراجع الدين في العالم الحديث : قلة الممارسات الدينية وتطبيق الفروض الدينية ، تفكك الشعائر التقليدية تحت ضغط التمدن والتصنيع ، تقلص نسبة الرجال والنساء الذين ينخرطون في الرهبانية .. الخ وعملية تراجع الدين الذي هو الأفق الفكري والـثـقـافي الـذي تفـتـرضــه الـحـداثــة (8) كانت تشكل في هذه البحوث ظاهرة ملاحظة ومقاسة .. من هنا جاءت ضرورة إفلات الـمـمـارسة السوسيولوجية من تأثير رجال الدين ، إن هذه الإرادة في الإفلات أو الانعتاق من ضـغـوط الهــرمية الكنسية ومن احتواء رجال الدين ، كانت تمثل الشكل الأول لمتطلبات النقد التي تميز كل عمل سوسيولوجي« (9).
جاءت الصحوة الإسلامية لتصيب أمــاني وطـمـوحات رجال الاجتماع في بلادنا في تراجع الدين وأحلام نقده وتفكيكه ثم اختفائه في الصمـيـم ، وبينت لهم المآل الحقيقي للحداثة، وأثبتت لهم أن الطريق الذي سلكوه ليس طريقاً سهلاً ، وفوجئ رجال الاجتماع بأن الدين بدلاً من أن يختفي فإنه يقاوم ويتحول ويمتد إلى قطاعات كانوا يسيطرون هم عليها. أصبح رجـال الاجـتـمـاع أمــام هـذا الـمـوقـف الجديد في موقف الدفاع مع المقاومة الشديدة التي واجهتهم في ظروف غير مواتية لهم ، لكنهم لازالوا يصممون على الكفاح من أجل الحفاظ على ما يسمونه الطموح في نقد الدين.
يقول محمد شقرون : »إن الأهمية الـقـصـوى الـتـي أصـبـح يحـظـى بها الحدث الديني في المجتمعات الحديثة في أوساط المهتمين بالسياسة وفي أوساط المثقفين الذين يتحدد دورهم في فهم مآل الحداثة لا تسهل الوضع الفكري لعلماء اجتماع الدين تجاه مـوضـوعهم . فقد بين هؤلاء منذ زمن بعيد أن الدين عوض أن يختفي ، يقاوم ويتحول ويستولي عـلـى مـوضوعات جديدة لا صلة لها بالدين ، وأنه بإمكانه أن يخلق ما هو جديد ولكنه يبدو أن مجموع هذه الظواهر (المقاومة ، التحويل ، التعويض ، التجديد.. الخ) تأخذ قيمة جديدة في الـنـظــرة الـسـوسـيـولوجية ، فقد أصبحت السوسيولوجيا اليوم وخاصة في المجتمعات العربية أمام وضعيه الكـفـاح مـن أجـل الحـفـاظ على طموحها النقدي في ظرفية تتميز بتبني كل أشكال المقاومات الدينية واستخدامها لمصلحة اللاعقلانية« (10).
يدرك رجال الاجتماع في بلادنا أن طـمـوحـاتـهـم فـي نقد الدين وتفكيكه لا تزال قائمة ما دامت الدولة تقاسمهم هذه المهمة وتشترك معهم فـي التآمر ضد الدين . تعطي الدولة وزناً كبيراً للعلوم الإنسانية لا يماثل هذا الوزن الذي تعـطـيـه لـلـعـلـوم الطبيعية ، حيث تظهر العلوم الإنسانية أن سلوك الإنسان بما فيه (السلوك الديني) يخـضـع لتأثير معطيات نفسية واجتماعية ، كما تبرهن العلوم الاجتماعية وخاصة علم الاجتماع وعـلـم الـنـفس والتحليل

النفـسـي أن القـوى والدوافع التي تتحكم بالآراء والمعتقدات والإرادات هي قـوى ودوافــع ذات طبيعة مـتـغـيـرة تبـعـاً لدرجة تطور المجتمعات ، أي (لا تأثير للدين والعقيدة فيها) وتبين هذه العلوم (للدين) كما يـقــول - فـرحان الديك - أن الإنسان تابع لنظام اجتماعي يرتبط فيه التفريق بين الديني والدنيوي . أي فصل الشؤون الدنيوية عن الدين..

ومن هنا لا نستغرب أن نجد أن عداء رجال الاجتماع في بلادنا مرتبط ومحتم بعداء الدولة للدين التي اتخذت منذ زمن بعيد خطوات مـحـددة مـهـدت الطريق لرجال الاجتماع لأداء مهمتهم في تفكيك الدين ، وقد كان أبرز هذه الخطوات الآتي :

أولاً : التركيز على القومية كهدف أعلى وغاية أسمى، والـعـمـل عـلـى تـرويض الإنسان ومحاولة الاستئثار به كلياً وإبعاده عن الدين مع تشديد الدولة على رعايـاهـا بالتأكيد على عدم الخلط بين الدين والدنيا ، وتحرير السلطة السياسية من وصاية الدين، وتطوير أخلاق سـيـاسية لا تمـت بصلة إلى أي معيار سماوي ، ولا تترك الدولة للإنسان فرصـة اخـتـيــار موقـف محـايـد في الصراعات الاجتماعية والسياسية القائمة بتطبيقها ، بل تصر على مبدأ "من ليس معنا فهو ضدنا".

يقول فرحان الديـك : »فـي الـمـاضي غـيـر الـبـعيد بالنسبة إلى المجتمع العربي كان الدين الإسلامي يتغلغل كلية أو في محمل حياة الفرد وفـكـره . وعـلـى هذا الأساس كانت سيادته كأفق ثقافي للفرد ، لكن عندما حلت الدولة بمفهومها الحديث محل الدين في مناخ صراعي حدث تنافس بين الدين والمجتمع ، فالأمة عندما تكف عن الخضوع للدين ومنذ أن تصبح القومية الهدف الأعلى وتعد الغاية الأسمى تصبح بالضرورة عــدوة للدين ، فهي تتطلع إلى ترويض الإنسان لتجعل منه غرضها وشأنها وإبعاده عن الأجواء التقـلـيدية لتستأثر به كلياً (11).

ثانياً : تطبيق سياسة العلمنة كتحد شامل وعام للدين خاصة لأن الـديـن في الإسلام ليس قضية خاصة أو مجالاً أو حيزاً محدداً بدقة مستقلاً ومفصولاً عن المجالات الأخرى، وإنما يغطي بشمول كبير المحيط العائلي والاجتماعي والسياسي والقانوني ، لا يترك حـيـزاً من الحـيـاة الـفـردية والجماعـيــة دون أحكام وقواعد، وتمتد فروعه إلى كل مجال، وتأثيـره حاضر باستمرار .

ولتحقيق هذا الاستقلال والانفصال بين شؤون الدنيا والدين قامت الدولة بما يلي :(12)

1- توطيد المؤسسات العلمانية التي تؤسسها ، والتي تأخذ الطفل والشاب إلى جو يختلف كلية عن جو الأوساط الدينية، وإدخـال الـفـرد فـي عدة جماعات ذات أهداف مستقلة لا تفكر مطلقاً في الدين أو اليوم الآخر .

وتفرض الدولــة عـلـى الـفــرد الانتقال باستمرار من المحيط الديني إلى

محيط يجهل كل شيء عن الدين ، أو يكن له عداءً مكشوفاً ، ويتمركز أصلاً حول المصالح الدنيوية المادية ، إلى أن ينتهي الأمر بالفرد إلـى اعتبار الدين مؤسسة شبيهة بالمؤسسات الاجتماعية الأخرى ، لا يكرس له من وقته ونفـسـه إلا حيزاً محدوداً.

2- العمل على تحقيق العلمنة الفعلية للمجتمع بتأسيس منظمات وجمعيات ثقافية ونقابية وحزبية وتنظيمية (كالنادي الرياضي ، أو التنظيم المهني ، أو الجماهـيـري ، أو السكني) تتوسط بين الفرد والمجتمع دون ضرورة للمرور على المؤسسات الدينية كـمـا كان الحال في الـماضي . وبتأسيس هذه المنظمات يضعف اعتماد الفرد في تفسير أمور حياته عـلـى القـيـم الديـنـيـة . وتـتـسـع هــذه الـمنظمات إلى لا تقيم اعتباراً لقيم الفرد الدينية ، ولا تهتم إلا بمصلحة الفرد في ضوء هدفها الــذي تسـعـى إلى تحقيقه ، ومن ثم يتحول الدين إلى مسألة خيار شخصي لا يعنيها ولا يهمها.

3- فصل المجالات الاقتصادية عن الدين ، بإعادة بناء المجتمع وفقاً لمقتضيات ومتطلبات الإنتاج والاستهلاك ، بحيث تكون الكلمة العليا للربح والدعاية والتنافس وتقنيات الإنتاج والـتـسـويـق والإدارة ، ولا يكـون هناك تأثير مطلقاً للأخلاق الدينية ، ويكون القرار في يد أولئك الذين يملكون سلطة سياسـيـة واقـتـصـاديــة وسـيـطرة لا حد لها . ومن هنا تختلف خيارات الإنـســـان المــرتـبـطة بتصوره وحاجاته عن التصور الـذي ينبثق من مبادئ وقيم الدين، بحيث يشتد التركيز على الجانب المادي من الحياة وعـلـى الـسـعـادة الـدنـيوية ، دون وضع اعتبار لقيم الدين كالقناعة والابتعاد عن الغش والاحتكار.. الخ.

4- الـتـركـيـز على سياسة تحديد النسل وتدخل السلطات الرسمية فيها ، وهي تعلم أنه مجال يلقى معارضة شديدة من الدين وعلمائه . تؤكد الدولة للإنسان بأن له حق التصرف في جسده ، كما تقوم بإدخال معطيات ديموغرافية وفيزيولوجية ونفسية وطبية وسياسية في مسألة الإنـجـاب ، وهي معطيات من شأنها أن تقوض المرتكزات الدينية التي تقوم عليها هذه المسألة..

ثالثاً : تصوير الحضارة الصناعية على أنها حضارة منافسة للدين متحدية له بما تقدمه من إمكانيات العلم والتقنية ، وبتصويرها للإنسان على أنه سيد للطبيعة وأن على الإنسان أن يتكيف لهذه الحضارة بسبلها المادية والفكرية معاً ، وهذا يستلزم منه أن يعيد النظر في أفـكـاره الـدينية التي تكونت عبر مراحل تنشئته الاجتماعية . وتؤدي هذه العملية إلى أن يصبح العالم الـفـكـري لـلإنـسـان (عقلانياً) فلا يحتاج بالتالي إلى الدين الذي ينظر إلى هذه الحضارة -كما يتصور فرحان الديك - نظرة ترقب وتجاهل.

رابعاً: الاسـتـفـادة من انتشار العمران والحراك الجغرافي والاجتماعي بالـتـأكـيـد عـلـى التجديد والابتكار وبتعددية المواقف ونسبية الخيارات ، كل ذلك بقصد ألا تنطلق المواقف والخيارات من الـديـن وحـده ، مع تأكيد النظرة إلى المسجد على أنه أحد القطاعات التي تضمها المدينة أو القرية الريفية ، والعمل ألا يختلط المسجد بالحي أو بالوسط الريفي مثلما كان سائداً في الماضي مع تحجيم دوره بالصورة التي تمنع هذا الخلط .

الهوامش :

1- محمد شقرون ، شروط إمكانية قيام سوسيولوجيا دينية في المجتمعات العربية ، الدين والمجتمع العربي ، مركز الدراسات العربية بيروت 1990 ص 128.

2- تابع ص 128.

3- بوتومور ، تمهيد في علم الاجتماع ، محمد الجوهري وآخرون دار المعارف سلسلة علم الاجتماع الكتاب الرابع 1987 ص 16.

4- الامـبـيـريقـيـة Empricism مـصـطـلـح مـشـتق من الكلمة اليونانية Empeira وترجمتها إلى اللاتينية Experientia بمـعـنـى الـتـجـربـة ، والامبيريقية على عكس العقلانية هي النظرية التي تقول أن التجربة وليس العقل هــو مـصـدر الـمعرفة بـمـعـنـى أن كـل ما نعرفه إنما يرتبط مباشرة بالخبرة الحسية أو يشتق منها بوسائـل تجريبية تعتمد على الإدراك الحسي . انظر:
D.w Hamlyn Empricism the Encyclopedia of Philosophy , Paul Edwards, Macmillan Publishing , New York , London P 499.

وحسبنا في بيان تعارض الامبيريقية مع العقيدة شهادة رجال الاجتماع في بلادنا في قولهم (أن الامبيريقية تـسـتـنـد إلى ما يسود العلوم الاجتماعية بوجه عام من اتجاه علماني ومن اهتمام بمسائل علـمانية) ولأن الامبيريقية تعتمد فقط على الأساليب الفنية فإنها ترفض أي فكر وتبدأ بالـواقـع وتـرى بـصــراحة (إن كل ما لا يخضع للتجريب فهو باطل).

انظر : محمد عاطف غيث ، دراسات في تاريخ الـتـفـكـيـر واتـجـاهــات النظرية في علم الاجتماع ، دار النهضة العربية بيروت 1975 ص 284.
وعـن الامبـيـريـقـيـة يقــول رجال الاجتماع في بلادنا : أنها تلفيقية تلقيطية جزئية عديمة اللون والطعم ، تعـتـمـد على الـمـوقف الخبري المبسط الذي يلاحق الظاهرات مبعثرة مسقطة من حسابها الإطار النظري الـشـامــل الذي يحتويها . وتعتمد البحوث الامبيريقية على جمع فكرة من هنا وأخرى من هناك ثم اختيار عينة عشوائية عمدية في معظم الأحيان ثم تصميم استمارة بحث يعرض الـبـاحـث نتائجها في صورة جداول إجابة

المبحوث فيها هي التي يريدها الباحث ، موقفها مـفـتـعـل ونـتـائجها مفـتعلة أيضاً.
نـظـر عـبـد الـباسـط عبد المعطي ، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع ، عالم المعرفة ، المجلس القومي للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1981 ص 273-278 .
5- محمد شقرون تابع ص 129.
6- تابع ص 128.
7- تابع ص 128-129.
8- الحـداثـة كـمـفـهوم وكحركة نقلها الببغائيون العرب إلى مجتمعاتنا العربية من الغرب ولهذا لا يمكن فصل الحداثة العربية عن الحداثة الغربية باعتراف الحداثيين العرب أنفسهم . يقول محـمـد بـراده (إن الحديث عن حداثة عربية مشروط تاريخياً بوجود سابق للحداثة الغربية وبامـتـداد قنوات للتواصل بين الثقافتين) انظر محمد براده في اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة ، فصول مجلد 4 عدد 1983 ص 11. أشار براده إلى ذلك أيضاً في الفقرة التي اقتبسها من جون بودريان في قوله (تفرض الحداثة نفسها وكأنها وحدة متجانسة مشعة عالمياً من الغرب) . نفس المصدر ص 12.
والـحـداثـة كـمـا تعرفها الموسوعات الغربية هي أي نظرة تقوم على الاقتناع بأن العلم والتقدم العلمي الحـديـث تتطلب إعادة تقييم أساسي للعقائد التقليدية ومن ثم لا تنظر إلى الدين على أنه صياغـة دقيقة لسلطة جديرة باعتماد وقبول للحقائق المنزلة من الله وعلي أنه مقولات لمشاعر وخـبـرات ديـنـيـة عاشها بعض الرجال عبر حقبة تاريخية معينة ولهذا تكون الحقائق الدينية عرضة لعـمـلـيـة تـطـويـر مـستمر كجزء من الخبرة المتقدمة للجنس البشري وتستلزم هذه العملية إدخال مفاهيم عديـدة وجـديـدة كـشـيء متطلب للتغيير عن الفكر والتقدم الحديث.
ولـيـس الـوحـي فـي مفهوم الحداثة إلا مجرد خبرة شخصية حسية لمجموعة حقائق (عن) الله أكثر منه موضع اتصال لحقيقة شاملة (من) الله . انظر:
Modernism : in the Encyclopedia , Americana , American Corporation , N.Y.,1967 ,P2891.
وترجـع جــذور الحـداثـة كـحـركـة عامة إلى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . اتجهت هذه الحركة إلى تـطـبـيـق الـمـناهج النقدية على التوراة والإنجيل وتاريخ العقائد مما أدى إلى الحط من قدرها والنـظـر إلى الله (تعالى) على أنه ليس فوق الوجود المادي . انظر :
Modernism : in the new Columbia Encyclopedia , Columbia University Press , U.S.A , 1970 , P1801.

ويـشـيـر جون بوتي في الموسوعة الأكاديمية الأمريكية إلى أن هذا المصطلح قد استخدم في العصر الحديث لنقد الدين بصفة عامة . انظر:
John Booty , Modernism in Academia American Encyclopedia , Arete Publishing Comp. Inc., Princeton , Newjersey , 1980 , P 490.
بـهـذه الـمـفـاهيم التي نقلها الببغائيون العرب من الغرب شنوا هجومهم الضاري على الإسلام مفترضـيـن عـن جهل تصادم الإسلام مع العلم كالحال في بلاد الغرب فراحوا يقيّمون ويعدّلون في الإسلام والوحي والرسالة وفق أهوائهم.
ومن أبرز المعاصرين الذين حملوا على عاتقهم هده المهمة (حسن حنفي) أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة القاهرة . دعا حسن حنفي إلى إخضاع القرآن للنقد وللمنهج النقدي مـثـلـمــا فعل (سبينوزا) مع التوراة والإنجيل ، رافضاً تفسير قوله تعالى : ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)) بمعنى أنه حفظ للنص متهماً النظرة القائلة بأن معنى الآية حفظ للنص الحرفي المدون بأنها نظرة (لاهوتية صرفة تهرب من -النقد- وتلجأ للسلطة الإلهية) . انظر :
أحـمــد إبراهيم خضر ، وقفات مع اليسار الإسلامي ، مجلة المجتمع عدد 901 وما بعده 17 جمادي الآخرة ص 1406/ 4 2 يناير 1989
وعن رفـض الحداثـيـيـن الـعـرب (لله) و (للـديـن) وتشبثهم بالفكر العلماني والنظر إلى الإنسان على أنه محور الوجود وليس الله ، يقول كمال أبو ديب :
(الـحــداثــة انقـطــاع معرفـي . ذلك أن مصادرها المعرفية لا تكمن في المصادر المعرفية للتراث في كتب ابن خلدون الأربــعــة أو في اللغة المؤسساتية والفكر الديني وكون الله مركز الوجود... الحداثة انقطاع ، لأن مـصـادرهــا الـمـعـرفية هي اللغة البكر والفكر العلماني وكون الإنسان مركز الوجود) . انظر:
كـمـال أبـو ديـب ، الحداثة ، السلطة ، النص ، مجلة فصول مجلد 4 عدد 3 عام 1984 ص 37.

9- محمد شقرون تابع ص 129-130.
10- تابع ص 131-132.
11- فرحان الديك الأساس الديني في الشخصية العربية ، الدين في المجتمع العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ص 117.
12- انظر فرحان الديك تحت (تحديات حضارة المجتمع الصناعي للدين وتراجع الدين في الحياة الاجتماعية) المرجع السابق ص 111-125.

خواطر في الدعوة

أمراض القلوب
(2)

محمد العبدة

مـن يـتأمـل الـنفـس الـبشرية ويسبر غورها فسيجد العجب العجاب من مداخلها ومساربها ، فهي إذا كرهت تبعد صورة من تكره بألف حيلة وتشوهها بألف لون ، وإذا أحبت فمثل ذلك أن تلجم وتفطم عن مثل هذه المداخل.حدثني أحد الأخوة عن لقاء عابر مع صديق له وهو من العامـلين فـي حـقـل الدعوة الإسلاميـة ، قـال : فـوجـئت بـهذا الصــديـق يـغمـز ويـلـمز بأحـدِ الدعاة الذين نحسبهم من أهل العلم والصدق - ولا نزكي على اللـه أحـداً - وكــان يـغمز ويـلمـز بـطريـقة ذكـية استـعمـل فيها التلميح دون التصريح . وتعجبت من تلميحاته وكرهه لهذا الداعية ، وهو لم يلتق به مـن قرب ولم يقرأ له . فقلت لهذا الأخ : لا تعجب ، إنه الحسد والمعاصرة ، أليس هذان الاثنان من بلد واحد ومن منطقة واحدة ؟ قال : بلى . قلت : إذن سأسمعك ما كتبه أبو بكر الرازي فـي هـذا المـوضـوع - والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها -:

»إننا نرى الرجل الغريب حكماً في بلد ما ، متحكماً في أهلـه، ومـع ذلــك فــلا يــكـــادون يحسون نحـوه بـكـراهـيـة أمـا أن يحـكـمـهـم رجـل مـن أهـلهم فالأغلب أن تنصب عـليـه الكراهية، مع أنه قد يكون أرأف بهم من الحاكم الغريب ، وسر ذلك هو محـبـة الإنســان 0لنفسه ، مما يجعله تواقاً إلى أن يكون سـباقـاً لسـواه مـن أبناء قومه ، فإذا رأى الناس أن من كان بالأمس منهم قد أصبح اليوم سابقاً لهم ، مقدماً عـليـهم ، اغـتمـوا لـذلـك وصعب واشتد عليهم سبقه إياهم ، أما المالك الغريب فمن أجـل أنـهـم لم يشـاهـدوا حـالـته الأولى لا يتصورون قصورهم في كمال سبقه لهم وفضله عليهم ، فيكون ذلك أقــل لغمهم وأسـفـهـم« (1).

والرازي ضرب مثلاً للحاكم ونحن ننقل هذا المثل لما يقع الآن مع الدعاة والعلماء ، فنــجد الرجل صاحب العلم والفضل يتكلم في أقـرانـه أو مـن أهـل بـلـده ما لا يتكلم فيه الآخرون ، وما يقطع هذا المرض القلبي إلا أن يفكر المسلم ، ماذا يستفيد مـن هـذا الحـسد في الدنيا غير وباله في الآخرة ، ويفكر في نفسه أن فضل الله يؤتيه من يشاء ، ولا حـرج في المنافسة في الخير والمزيد من العلم ، وربما استطاع أن يسد ثغرة في جانب من الجوانب لا يـسدهــا أخوه المحسود!

إنـنـا نـسمـع هـذه الأيـام مـن يـفرح بأخطاء أخيه ليجمعها ويؤلف فيها كتباً!! أهكذا أمر الإسلام أتباعه؟ أوهكذا تُضيّع الأوقـات ، إنـهـا مـصيـبة - والله - أن تـهـدر الطاقات ولا يتنبه الذي يصّب نفسه داعية لأمراض قلبه وإحن صدره ،

ويعالجها بالدواء الشافي كما يعالج بدنه إن أصابه شيء ، فيكون مرضياً عند الله وعند الناس.

الهوامش:

1- الطب الروحاني لأبي بكر الرازي ، نقلاً عن كتاب : عن الحرية أتحدث 73/ زكي نجيب محمود.

إلى خطباء الجمعة

الشيخ عبد الله بن حسن القعود

إلى إخوتي في الله خطباء الجمعة . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأحمد الله تعالى وأصلي وأسلم على رسوله محمد بن عبد الله وبعد : فتعلمون "وفقكم الله" أهمية خطبة الجمعة ومكانتها بين العبادات وما يتطلب ويتأكد فيها من إحياء وإظهار ما شرعت له ، من عظة القلوب ، وملامسة المشاعر التي أمرت هي من جانبها أن تتهيأ قلباً وقالباً جسماً وروحاً لاستماع الخطبة ، الأمر الذي كماله المطلوب وتمامه الواجب الجاذب للقلوب والشاحذ للهمم أن يكون الواعظ فيه قد اتعظ ، والأمر قد ائتمر ، وأول ما يتطلب الاتعاظ به في هذا الأمر حمايتها وحفظها من أن يتطرق إليها أو إلى شيء من أجزائها ولو ألفاظ الدعاء فيها ما ينقض الإخلاص فيها ويضعف التقبل لها. وأن تكون وفق منهجه صلوات الله وسلامه عليه فلا يخرج بها عنه.

وبتتبع منهجه صلوات الله وسلامه عليه نجد أن خطبه مليئة بالثناء على الله وتعظيمه وبتذكير الناس بآلائه عليهم ، بل وبأيامه وسننه فيهم ثواباً وعقاباً . قال ابن القيم -رحمه الله- في ذكر خصائص يوم الجمعة : إن فيه الخطبة التي يقصد بها الثناء على الله وتمجيده ، والشهادة له بالوحدانية، ولرسوله -صلى الله عليه وسلم- بالرسالة، وتذكير العباد بأيامه،وتحذيرهم من بأسه ونقمته وتوصيتهم بما يقربهم إليه وإلى جناته، ونهيهم عن ما يقربهم من سخطه وناره فهذا هو مقصود الخطبة والاجتماع لها" (1).

ومن هذا يعلم أن ما بدأ يظهر في خطب الجمعة في عالمنا المعاصر من تقليل الثناء على الله فيها، بحيث يكاد يقف القول فيه في بعض الأحيان عند أقل ما يجب ، بل ومن جعلها في بعض الأحيان مادة للثناء على أقوام بأعيانهم ، أو النيل من أقوام كذلك بأعيانهم ، أمر مخالف لما كان عليه صلوات الله وسلامه عليه وما كان عليه أتباعه بإحسان -رضي الله عنهم- وعلى من سار على نهجهم إلى يوم الدين.

وخذوا مثلاً المقارنة فيما يتعلق بالتركيز في خطب الجمعة ونحوها على الثناء على الله سبحانه والارتباط فيها بمضمون ما شرعت له مما أجمله ابن القيم -رحمه الله- خطب ابن القيم نفسه في مقدمات كتبه المنبىء عن

منهجه في الخطب -رحمه الله- ، وخطب 0الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- المطبوعة ونحوهما ،خطب بعض الناس اليوم وما طرأ عليها في بـعض الأحـيان وقـارنـوا بـينـهمـا -أخـذاً في الاعـتـبار البحث عن روح التوحيد الخالص - لتروا أن أولئكم -رحمهم الله- لم يسودوا ولم يؤموا ولم يـبقـوا بـيـننا بذكرهم المعطر للمجالس بتسخير أقــلامهم وخطبهم في مواقف محضة للثناء على المخلوقين وإنما الثناء على خالق المـخلوقـين. ولا شـك أن ذلـك إدراك مـنهـم -رحمـهـم الله- لروح التوحيد ولمراد الله سبحانه في قوله ((فماسوا إلى بر الله!)) وفسر الذكر بالخـطبـة، ويشهد له حديث "وحضرت الملائكة يستمعون الذكر" وفسر بالصلاة، ولا مشاحة فالأمـر بـالـسعي للخطبة أمر بالصلاة ولن تكون الخطبة بالمعنى المطلوب الذي يصدق عليه أنه فـي جمـلتـه ذكر إذا تضمنت مدح أقوام بأعيانهم ، أو ذم أقوام بأعيانهم ، ولذا كـان بـعـض السلـــف -رحمهم الله- يستسيغ لنفسه الكلام أثناء خطبة خـطـيب الجـمـعـة إذا خـرج فيـهـا عـن مقتضاها. قال صاحب المغني -رحمه الله- : "وكان سـعـيد بـن جـبـير والـنخعي والشعبي وإبراهيم بن مهاجر وأبو بردة يتكلمون والحجاج يخطب ، وقال بعضهم : إنـَّا لم نـؤمر أن ننصت لهذا"(2).

وقال القرطبي -رحمه الله- في تفسيره لهذه الآية: "فإن قلت كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها غير ذلك؟ قلت ما كان من ذكر رسول الله -صـلـى الله عـليـه وسلم- والـثـنـاء عـلـيـه وعلى خلفائه الراشدين وأتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو في حـكـم ذكر الله ، فأما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة وألقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم أحقاء بعكس ذلك فهو من ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل " (3).

ولا جرم أن يخرج هذا النفس من هذا العالم الجليل ، فإن أمراً جعل شرطـاً لـصحـة صلاة الجمعة واعتبر جزءاً من مجموعها ومعلوم وجوبها العيني أنه يتعين الاهتمام به وحمـايـته وأداؤه وفق المشروع كي لا يتطرق إليه نقص ، فينسحب نقصه عليها.

فيا اخوتي في الله القائمين على هذا الثغر العظيم ، ثغر توجيه وإبلاغ وإمامة وشهادة على الناس يوم يقوم الأشهاد: اعرفوا لهذا الموقف حقه ، واذكروا به مـوقـفكم أمـام اللـه يـوم تستشهدون على الناس ، اسلكوا فيه الطريق السوي الذي لا غلو فيه ولا جفاء، فاستعمال الخطبة للنيل من أقوام بأعيانهم خروج بها عن الوسطية المطلوبة فيـهـا، والمبـالغـة فـيهـا بالثناء على أقوام بأعيانهم خروج كذلك عن الوسطية المطلوبة فيها. قال جابر بن سمرة -رضي الله عـــنـه- : »صليت "يعني الجمعة" مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فكانت صلاته قصداً وخـطـبـتـه قصداً«، رواه مسلم وغيره ، والقصد الاعتدال ، فالمطلوب في خطب الجمعة ونحوها على وجه التقريب والتمثيل أن يختار

الخطيب أوصافاً وأعمالاً فاضلة مما وصف به المؤمنون في الـقــرآن الكريم والسنة المطهرة ، فيحث عليها ، ويرغب فيها ، أو أوصافاً ذميمة وأعمالاً سـيـئـة مــن أعـمـال وأوصاف الكفار أو المنافقين أو فجار المسلمين ، فيحذر وينذر منها ، أو منكراً ظاهراً ؛ فيذكره بأوصافه دون تسمية أهله في مثل هذا المقام المشترك في التقرب إلى الله بين المتكلم فيه والمستمع له ، مبتعداً في لفظه عن وحشي الكلام ومبتذله ، بادئاً بتقرير وبيان التوحيد الـذي بـعث الله به رسله وأنزل به كتبه ، وبيان ما يناقض أصله أو كماله الواجب ، فأصول الإيمان وأركــان الإســلام ، فالفضائل والمسائل ، وبإمكانه أن يربط الموضوع الذي يريد علاجه بتلك الأوصاف لا بأعـيــان أهـلـه كما فعل -صلى الله عليه وسلم- ، عن عائشة -رضي الله عنها- قالت :
»جائـتـنـي بريرة . فقالت : إن أحب أهلك أن أعدها لهم ويكون ولاؤك لي فعلت ، فذهبت بريرة إلى أهلها ، فقالت لهم : فأبوا عليها ، فجاءت من عندهم ، ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- جـالـس. فـقالت : إني قد عرضت ذلك عليهم فأبوا إلا أن يكون الولاء لهم ، فسمع النبي -صلى الله عليه وسلم- ، فأخبرت عائشة النبي -صلى الله عليه وسلم- . فقال »خذيها واشترطي لهم الولاء ، فإنما الولاء لمن اعتق« ففعلت عائشة -رضي الله عنها- ، ثم قام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الناس ، فـحـمـد وسـلـم في الناس، فحمد الله وأثنى . ثم قال »أما بعد ، فما بال رجال يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله تعالى؟ما كان من شرط ليس في كتاب الله تعالى فهو باطل، وإن كان مئة شرط، قضاء الله أحق،وشرط الله أوثق ، وإنما الولاء لمن أعتق« (4).
ولـيـعـلـم أن هذا التوبيخ لأشخاص في مخالفة قد لا تعد كبيرة،أما في الكبائر : الشرك فما دونه،فقد قال جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- »كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا خـطـب احـمــرت عيناه ، وعلا صوته ، واشتد غضبه ، حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم« رواه مسلم . وفي باب الكبائر وما ذكره العلماء حولها مادة واسعة للخطباء عند ظهور أي منكر، فلا يكاد شيء من المنكرات الظاهرة يخرج عنها ، وخذوا مثلاً كتاب الكبائر للذهبي -رحمه الله-، وكتاب الكبائر للشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-، وكـتـاب الـتـرغـيـب والـتـرهـيـب للمـنذري -رحمه الله- ونحوها ، وما أسلفته من انتقاء الأوصاف الممدوحة من الكتاب أو السنة والحث عليها ، أو المذمومة والنهي عنها ، وربط الموضوع المراد علاجه بها لا بأسماء أو أعيان أهلها كما سلف . فلنأخذ كذا المنهج مخلصين متبعين عسى أن يتقبل الله منا هذه الطـاعـة وغيرها ، وأن يحقق بذلك المعنى العظيم الذي شرعت له الخطبة ، من تعاهد الناس بين الفينة والأخرى بالتذكير والتبصير، بل التعرف

على مشاكلهم وأمراضهم أمراض شهوة أو شبهة، لـمـحــاولة عـلاجهـا بما جعله الله دواء وشفاء لها في قوله سبحانه :
((يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وهُدًى ورَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ)) والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الهوامش:

1- زاد المعاد ج1 ص 398.
2- المغني ج2 ص 320 .
3- تفسير القرطبي ج18 ص 107 .
4- متفق عليه ، واللفظ للبخاري.

في الدعوة والواقع

مطلبان للدعاة

د. سليمان التميمي

يلاقى الدعاة إلى الله صنوف الأذى بـدءاً مـن مـضـايقـتهم ، والتجسس عليهم ، والتصنّتِ على كـل مكالـمـاتـهـم ، ومـراقـبة أعمالهم، وتتبع حركاتهم، وإحصاء أنفاسهم وأقوالهم، وروحاتهم وغدواتهم ، وأصحابهـم وجلسائهم ، وانتهاءً باعتقالهم وسجنهم ، وضربهم أو قتلهم ، وأخذهم بصورة لا تليق بكرامة الإنسان . ويستقبل الدعاة هذا كله برحابة صدرٍ ، وصبرٍ واحتمال ، وهم يعلمون أنّ العاقـبـة للمتقين ، والبشرى للصابرين ، وأنّ نصر الله - لا ريبَ - آتٍ والعجلة لا تقدّمه ، كما أن الـتريث لا يؤخره ، محتسبين ما يجري عليهم من ظلمٍ وإفك ، وأذى واضطهادٍ عند الله ، ولله.

وهم مع هذا متمسكون بدينهم ، لا يتقهقرون عن دعوتهم ، ويطلبون أن يخلى بينهم وبين الـشـعـوب الإســلامية لدعوتها وإصلاحها ، قياماً بالواجب الذي افترضه الله على عباده المؤمنين :
((ومَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إلَى اللَّهِ وعَمِلَ صَالِحاً وقَالَ إنَّنِي مِنَ المُسْلِمِينَ))
((ادْعُ إلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ والْمَــوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ))
وهم في حالهم تلك لا يسألون الناس أجراً ، يفرحون بهداية المهتدين ، وعودة التائبين :
((وجَاءَ مِنْ أَقْصَا المَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا المُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وهُم مُّهْتَدُونَ))
هذا وصف داع للإجابة ، دالٌّ على الصدق :

((ومَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إنْ أَجْرِيَ إلاَّ عَلَى رَبِّ العَالَمِينَ))
ويتحملون ما يأتيهم مــن الأذى والاضطهاد ممَّن يدعونهم ، ولا يؤاخذونهم على ما يصدر منهم من أذى ، بل يعرضون عنه كأن لم يسمعوا ولم يروا :
((فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا ولَمْ يُرِدْ إلاَّ الحَيَاةَ الدُّنْيَا))
والإعراض- هنا- ليس هــو تـرك الدعوة، ومقاطعة المعرضين ، بل عدم مؤاخذة المدعوين، بما يصدر عنهم من أذىً ، مع الاستـمـرار فـي الدعوة والبلاغ ، والحرص على الخير.
وفيما هـم عـلـى هـذه الحـالـة، يـعـتـرض طـريقـهـم المتنفذون من أصحاب الجاه والدنيا ، يقطعون عليهم طريق الدعوة إلى الله ، ويحـاربـونـهـم مـن أجلها، لا يطـلـبـون أن يمـيّزوا بمـعـاملة خاصة ، أو يعطوا شيئاً ليس لهم - وهم أقرب النـاس إلـى الـزهـد فيما هو مــن حقهم، ولهم - بل يطلبون مساواتهم بالمجرمين ، من قطاع الطرق ، والسراق ، وغيرهم - وهو أمــر مع ما يحمله من الظلم البين والإجحاف مطلبٌ يمنعه أصحاب السلطان - وذلك بإحالتهم إلـى القـضــاء . إذ أن هؤلاء إذا قُبض عليهم أحيلوا على الشرع لإقامة حكم الله فيهم ، بخلاف الدعاة الذين يحالون إلى الجلادين من الشرط ورجال الأمن والاستخبارات بطريقة لا تمت إلى الإنـسـانـيـة ، فضلاً عن الإسلام بصلة . أليس هذا الطلب عادلاً ، بل متواضعاً ، بل ظالماً ، ومع ذلك يرض به من نذروا أنفسهم ومالهم ووقتهم لدعوة الناس إلى الخير.
ويا لها من أمةٍ منكوبة، جعلت دعاة الإسلام يتواضعون إلى هذا الطلب الجائر ، على حين أن الواجب أن يجعل الدعاة فوق الهام ، وأن يؤخذ برأيهم ، وأن يقدموا في كل شيء.
هذه حال الدعاة في الدول التي تدعي الإسلام. أمّا الدول التي أعلنت براءتها من الإسلام، وانخلعت من ربقته بجعل التحكم إلى الجاهلية ، والقوانين الوضعية ، والبراءة من الإسلام في دساتيرها ، فالأمر فيها أسوأ ، فإن مطلب الدعاة فيها أن يعاملوا معاملة إنسانية ، تليق ببني آدم ، على وفق ما تنادي به دول الكفر الـتـي تدعـي الـديموقراطية ، ورعاية حقوق الإنسان التي من أبسطها في نظرهم حرية التعبير.
ولـلـدعــاة مـطـلب آخر من حملة العلم والمؤمنين من عباد الله بأن يؤازروهم ويقفوا معهم ، ويشاركوهم في دعـوتهم التي كلف بها كل مؤمن ، ويدفعوا عنهم كل إفك وزور ، وكل شر يتربص بهم ، وإن لم يكن هذا فعلى الأقل أن يقفوا موقف مؤمن آل فرعون الذي قال :
((أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وإن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وإن يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُم بَعْضُ الَذِي يَعِدُكُمْ إنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ * يَا قَوْمِ لَكُمُ المُلْكُ اليَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنْ

بَأْسِ اللَّهِ إن جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إلاَّ مَا أَرَى ومَا أَهْدِيكُمْ إلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ)) (1).

فأين المشايخ وحملة الـعـلـم مـن هــذا الموقف ؟! إن الدعاة يتوقعون من هؤلاء أن يقفوا هذا الموقف على أقل تقدير ، إن لم يكن مـنـهـم قـيادة للدعوة وتصدر وزعامة ، ويرجون أن لا يأتي منهم خذلان في وقت الحاجة إليهم . وقـد قــال رسـول الله -صلى الله عليه وسلم- »المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ، ولا يكذبه ، ولا يحقره« رواه مسلم من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-.

ألا فليعلم هؤلاء المتنفذون أصحاب الجاه ، المتحكمون في شئون أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- أن للباطل جولة ، يعود بعدها الحق إلى الظهور، ثم تكون الغلبة له،وأن هذا الدين ما جعله الله آخر الأديان إلا ليعمَّ الأرض كلها :

((هُــوَ الَـذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى ودِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ولَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ))

وأن رسـول الله -صلى الله عليه وسلم- قد قال : »ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بـيـت مــدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين ، بعزٍ عزيز ، أو بذلِ ذليل ، عزاً يعز الله به الإسلام ، وذلاً يذل بــه الـكـفـر« رواه ابن حبان . وأن الله قد وعد بإعلائه ونصره على الرغم من كيد الكائدين وعداوة الكـفـار والـمـنـافـقـين ، وسيكتب الخزي على المنافقين والمرجفين :

((يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ واللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ ولَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ))

ألا فليعلم الذين يخادعون الله أن الله خادعهم ، وأن الصدق والـوضــوح خـيـر من النفاق والخداع ، وأن الشعوب تعلم حقيقة أمرهم ، وأنهم قد فقدوا مصداقيتهم أمام شـعـوبـهـم ، وقــد قال رسول الله -صلى الله علمه وسلم- : »إنها ستكون أمراء يكذبون ويظلمون ، فمن صدقهم بكذبهم ، وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ، ولا يرد عليَّ الحوض ومن لم يصـدقـهـم بـكـذبهـم ولم يعـنهـم على ظلمهم فهو مني وأنا منه ، وسيرد عليَّ الحوض« أخرجه الإمام أحمد عن أربعة من أصـحــاب رسـول الله -صلى الله عليه وسلم- ورضي عنهم ، وهم أبو سعيد الخدري، وكعب بن عجرة، والنعمان بن بشير، وحذيفة بن اليمان.

ولا أظنُّ عصراً تجلى فيه الكذب مثلما تجلى في هــذا العصر ، بوسائل إعلامه من إذاعة وتلفاز وصحف ، وغيرها . حتى صار في مقدور هــذه الـوسـائـل أن تحول الظلم إلى عدل، والـنـهـب إلى رجولة وذكاء ، والباطل إلى حق ، والكذب إلى صدق ، والخيانة إلى أمانة ، ولكن هــذا كـلـه يـبـق محصوراً في فـئـة مـن الـناس وفي مكان محدود ، وفي زمان معين ثم تنكشف الحقائق ولو بعد حين ، فيعود كل شيء إلى أصـلـه ووضـعـه

الطـبيـعـي ، ويتصور هؤلاء أن حقيقتهم لن تكشف ، وبواطنهم لن تظهر ، وسرائرهم لن تعلن وقد أخـطـأوا فـي هذا الظن وسيقال لهم :
((وذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الخَاسِرِينَ)) (2).
ألا فليعلم هؤلاء المخذلون ممن نسبوا إلى العلم الشرعيّ ، وحسبوا عليه أن ما هم فيه محض ابتلاء والله ناصر دينه بهم أو بغيرهم :
((وإن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ)) (3).
أخرج ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث أبي هريرة أن رسول الله -صـلـى الـلـه عـلـيـه وسلم- تلا هذه الآية ، قالوا : يا رسول الله من هؤلاء الذين إن تولينا استبدلوا بنا ، ثم لا يكـونـوا أمـثـالنـا قال : فضرب بيده على كتف سلمان الفارسي ثم قال : هذا وقومه ، ولو كان الدين عند الثريـا لتـنـاولـه رجـال مـن الـفرس« قال ابن كثير : تفرد به مسلم بن خالد الزنجي ورواه عنه غير واحد وقد تكلم فيه بعض الأئـمة والله أعلم به.
ألا فليعلم ، ثم ليعلم هؤلاء أن الدين دين الله ، وأنه لابـد غـالب والعـاقـبة للمتقين ، وأن الله هو الذي يختار له أنصاره والمؤمنين به:
((ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ومِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ومِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الفَضْلُ الكَبِيرُ)) (4).
وأن العاقبة تكون لهم ولمن ناصرهم في الدنيا ، ويوم لا تنفع نصرة ولا شفاعة:
((إنَّـا لَـنَـنـصُــرُ رُسُـلَـنَـا والَّـذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا ويَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ * يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ولَهُمُ اللَّعْنَةُ ولَهُمْ سُوءُ الدَّارِ)) (5).
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الهوامش :

1- غافر 28-29.
2- فصلت 23.
3- محمد 38.
4- فصلت 23.
5- محمد 38.

خُدعة ا لصدام المتعجل

محمد محمد بدري

نـرى فـي الـطرقـات رجـالاً يـطـاردون مجـموعة من الأطفال لأن هؤلاء الأطفال قد نادوهم بألقاب مـعـيـنـة تـثـيرهـم وتخـرجـهـم عـن وعـيـهـم واتـزانـهـم،فـمـاذا- تـظـنـون نظرتنا لهؤلاءالرجال؟إننا نراهم حقاً جديرين بالرثاء لأن الأطـفـال استطـاعـوا أن يـتـحـكـموا فــي انفعالاتهم !!

وقد يذهب بعض الناس إلى إنسان يريدون إثارته فيذمون لـه رأيــاً أو يستخفـون بشيء مـن مـعـتـقـداتـه حتى تغلي مـراجـل قلبه فيخرجونه عن سمته وهديه واتزانه .. لماذا ؟ لأنهم كشفوا فيه موضع ضعفه فـضـغـطـوا على هــذا الموضع ليثيروه ، ولكن لنفرض أن هذا الذي أراد الآخرون إثارته جاءه من يخبره بقصدهم فـمـاذا سـتكون النتيجة ؟ إن أغلب الظن أنه يستطيع بوعيه بقصدهم أن يتماسك أمام لعبتهم فيرجعهم فاشلين!!

وهذا بالضبط هو مقصدنا من هذه الكلمة القصيرة مع إخواننا العاملين للإسلام ، مقصدنا هو محاولة زيادة الوعي بسبيل المجرمين في خدعة جديدة وهي "الصدام المتعجل!!" فما هي تلك الخدعة؟

إن هناك شرذمة تدربوا على استدراج الدعوة الإسلامية وإثارتها ليؤدوا دورهم فـي الـوقت المحـدد .. فـإذا جـاء هـذا الـوقـت ضـغط هؤلاء على نقاط الضعف فأثاروها وأخرجوها عن توازنها ، واستدرجوها إلى الصدام مـعـهـم قـبـل الإعداد له وقبل وجود القاعدة الإسلامية الواعية ، وعلى إثر هذا الصدام يقوم هؤلاء بضـرب الـعـمـل الإسـلامي ضـربــاً مؤلماً ، أو يظهرونه في صورة السفيه الذي يجب بأن يحجر عليه.

وهكذا تقوم حملة على المسلمين والناس غافلون عن حـقـيقـة المـعركـة ، وعـن كـون هؤلاء المجرمون إنما يعملون عداء للإسلام ذاته لا رداً على عمل بعينه؟!

ولذلك يعتبر الاندفاع في اتجاه الصدام وفقدان الصبر على مواجهة تحديات الأعداء مظهراً من مظاهر الضعف وليس القوة .. والشرع والعقل يفرض على الدعوة الإسلامية في مثل هذه الظروف تفويت الفرصة على العدو حتى لا يحطم الحركة ، مع الالتزام بالصبر والسيطرة على المشاعر والانفعالات والتفكير والتركيز في عمل دائب لصنع القـاعـدة المـسلـمة الواعية التي تحمي الدعوة.

قد يقول قائل : إن حياة المسلم لا تنفصل عن الابتلاء .. وهذا حق .. وهذا لا يـعنـي أن لا نأخذ حذرنا كما أمرنا عز وجل ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ)) ونخطط في عـملـنــا آخذين في اعتبارنا الاستهداء بنور القرآن الكريم دون إهمال الأسباب المادية حتى لا نسقط ثمرات عملنا الإسلامي قبل أوانها..

فليست القوة بالحماس والانفعال بل بالسعي الدائب للوصول إلى الهدف والتخطيط لـذلـك وضبط النفس أمام التحديات الخارجية التي تحاول أن تنحرف بالدعوة عن خطتها مــن خلال الضغوط التي تُمارس ضدها من تشريد وقلق وعدم استقرار..

وقـد يـقـول قـائـل : وهل نقف مكتوفي الأيدي ونترك الطغاة يفعلون ما يريدون ؟! إنهم لا يجدون في السكوت إلا مظهراً من مظاهر الخوف والذعر أمام قوتهم !!

ونحن لم نقل أبداً إننا سننسحب ، ولم نقل أننا نريد ليناً مع الأعداء يحفظ علينا أرواحنا ، بل نقول إننا نحـاول الاسـتمـرار حـى نصل إلى هدفنا بتوازن يحكم إحجامنا كما يحكم إقدامنا ؛ فلا نستسلم لزهو البطولة الانـفـعالي الـذي يـدفـع الإنـسان إلى اتخاذ المواقف من خلال سياسة اللحظة السريعة لا من خلال سياسة النفس الطويل..
فـالـقوة الحـقيـقية هي في الصمود أمام التحديات العاطفية . وعدم الوقـوع ضـحيـة عـقليـة الفروسية الفردية.
أما أن نفسح المجـال أمـام أعـدائـنا ليثيروا انفعالاتنا ويجرونا إلى مواقف محسوبة عندهم لمصلحتهم أو يدفعونا إلى معارك لـم نـعد لها ، فهذا هو الضعف الحقيقي بل الصبر في مثل هذه المواقف هو مظهر القوة .. الصبر على تحمل درء الآلام .. والصبر على الإعداد الطويل للمستقبل . والإصلاح لا يتم في ليـلـة واحدة ، والخير لا يأتي دفعة واحدة ، وسنة الله في خلقه التدرج والنماء وصيحة الحـق الـتي نريد أن تدوي في العالم لابد لها من أطوار تمهد لها .. وواجب. الفئة المستنيرة في مثل هذه الأيـام أن تـقـوم بـهـذا التـمـهـيد .. وليس هذا التمهيد بالشيء اليسير إنه خطوة في سبيل انتزاع الأمـة المـسلـمة من الوحدة الـتي وقـعـت فيها .. وهو عمل طويل وشاق ومجهد ويحتاج إلى تضحيات كـبـيرة.

منهج أهل السنة في النقد والحكم علىالآخرين (3)

هشام بن إسماعيل

»تكلم الكاتب في الحلقات السابـقـة عـن قواعد أهل السنة في النقد وذكر منها : حسن الظن بالمسلم والخوف من الله والعدل في وصف الآخرين . ويتابع في هذه الحلقة بقية القواعد...« البيان

القاعدة السادسة :

العدل في المفاضلة بين الناس :

والأصـل في هذه القاعدة قول الله تعالى : ((إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)) [الحجرات 13] وقول الرسول -صلى الله عليه وسلم- عندما سئل : أي الناس أكرم ؟ قال : »أكرمهم عند الله أتقاهم« (1)
والتفضيل بين الناس يكون على وجهين :
1- تفضيل مطلق.
2- وتفضيل مقيد.

أما التفضيل المطلق بين الناس فيكون على أساس التقوى ، وقوة الإيمان - ولنا الظاهر والله يتولى السرائر - فمن ظهر لنا أنه على تقوى أعظم من غيره كان أحب إلينا.
وأما التفـضيل المقيد : فهو بحسب قيده، فإن الناس يتفاضلون في أمور ومواهب وقدرات ، فالناس يـتفـاضلـون في الـعلـم ، وفـي الـذكـاء والـفهـم ، وفي قوة الحفظ ، أو حسن الإدارة والتنظيم ، وأمثال ذلك فهنا المفاضلة تكون بحسب الحاجة إليها ، وهي مفاضلة مقيدة لا علاقة لها بالأفضلية عند الله تعالى وإنما فيما يظهر للناس.
فهذا السهروردي يقول عنه الذهبي : (كان يتوقد ذكاء ، إلا أنه قليل الدين) (2) والأمثلة من ذلك كثير.
وقاعدة السلف - رضوان الله عليهم - أنا لا نقدم إلا من قدمه الله ورسوله ، ولا نؤخر إلا مـن أخـره الله ورسـوله -صلى الله عليه وسلم- . كما يـنبـغي هـنا الإشـارة إلى أن أعـمـال القلوب والتفاضل فيها يرفع أصحابـها مـنازل عـليـا عـند الله تـعالى ؛ (فإنـك ترى الرجل الفاضل ذا الهمة العالية ، والعمل الدؤوب . في نـشر الإسلام ، وكـثرة العـبادة مـع طــول عمره ، ثم تجد من هو أقل منه نشاطاً وعملاً ، أو أقـصر منـه عـمراً أحب إلى الله تعالى من الأول).
وأما من جهة كثرة العمل والعبادة ، ومفاضلتها بما في القلب فقد وجد من العباد من اشتهر بكثرة الصلاة والصيام والإنفاق في سبيل الله تعالى ، وملازمة التقوى والخوف من الله تعالى ، كالحسن البصري ، وسعيد بن المسيب ، وسفيان الثوري ، والإمام أحمد وغيرهم ، وهم في أفرادهم بل في مجـموعـتهـم لا يـصلـون رتبة أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- ، بل الأمة كلها لا تصل إلى رتبة الصديق -رضي الله عـنه- لأنـه جمـع خـصـائـص لم تـجتمع لغيره بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.
ولذلك ينبغي أن يكون التفضيل بين الأشخاص قائماً على العـدل والإنـصـاف واعـتبـارات الشرع لا على الهوى والتعصب ، كما قال شـيـخ الإسـلام ابـن تـيـمية : (ومن سلك طريـق الاعتدال عظم من يستحق التعظيم وأحبه ووالاه ، وأعـطـى الحـق حـقــه ، فـيعـظم الحق ويرحم الخلق) (3).
كما أن التفضيل المطلق في كل الأمور يصعب الحكم به في كثير منها ، وذلك لاشـتمـال كل واحد منهما على فضيلة لا توجد في الآخر فيلجأ حينئذ إلى التفضيل ، لأن التـفضيل بدون التفصيل لا يستقيم.
يـقـول ابـن الـقيـم -رحمـه الله- : (الخـلاف في كون عائشة أفضل من فاطمة ، أو فاطمة أفضل ، إذا حرر محل التفضيل صار وفاقاً ، فالـتفـضـيل بـدون الـتفصيل لا يستقيم ، فإن أريد بالـفـضل كـثرة الـثواب عـند الله عـز وجـل فـذلـك أمر لا يطلع عليه إلا بالنص لأنه بحـسب تفـاضل أعـمـال

القـلـوب لا بمجرد أعمال الجوارح ، كم من عاملين أحدهما أكثر عملاً بجوارحه والآخر أرفع درجة منه في الجنة وإن أريد بالتفضيل التفضل بالعلم ، فلا ريب أن عائشة أعلم وأنفع للأمـة ، وأدت للأمة من العلم ما لم يؤد غيرها ، واحتاج إليها خاص الأمة وعامتها ، وإن أريد بالتفضيل شرف الأصل وجلالة النسب فلا ريب أن فاطمة أفضل ، فإنها بضعة من النبي -صـلى الله عـلـيه وسـلم- وذلـك اختصاص لم يشركها فيه غـير إخوتها ، وإن أريد السيادة ففاطمة سيدة نساء الأمة ، وإذا ثـبـتـت وجـوه الـتفـضـيل ومـوارد الفـضل وأسـبابـه صـار الـكلام بـعلـم وعدل ، وأكثر الناس إذا تكلم في التفضيل لم يفصل جهات الفضل ، ولم يوازن بينها ، فيـبـخـس الحـق ، وإن انـضـاف إلى ذلـك نـوع تـعـصـب وهـوى لمـن يـفضـله تـكـلم بالجهل والظلم ، وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن مسائل عديدة من مسائل التفضيل فـأجـاب فـيـهـا بالـتفـصيل الشافي ؛ فمنها أنه سئل عن تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر أو العكس ، فأجـاب بمـا يشفي الصدور فقال : أفـضـلهما أتقاهما لله ، فإن استويا في التقوى استويا في الدرجة .. ومـنهـا أنـه سـئـل عـن خديجـة وعـائـشـة أمـي المـؤمنين أيهما أفضل ؟ فأجاب بأن سبق خديجة وتأثيرها في أول الإسلام ، ونصرها وقيامها فـي الدين لم تشركها فيه عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين ، وتأثير عائشة في آخر الإسلام وحمـل الـديـن وتـبليـغه إلى الأمة وإدراكها من العلم ما لم تشركها فيه خديجة ولا غيرها مما تميزت به عن غيرهـا . فـتأمـل هـذا الجـواب الذي لو جئت بغيره من التفضيل مطلقاً لم تخلص من المعارضة .. فعلى المتكلم في هذا الباب :

1- أن يعرف أسباب الفضل أولاً (بتعلم العلم الشرعي من مظانه).

2- ثم درجاتها ونسبة بعضها إلى بعض والموازنة بينها ثانياً.

3- ثم نسبتها إلى من قامت به - ثالثاً - كثرة وقوة.

4- ثم اعتبار تفاوتها بتفاوت محلها رابعاً.

فرب صفة هي كمال لشخص وليست كمالاً لغيره ، بل كمال غيره بسواها ؛ فـكمـال خـالد بـن الـولـيد بـشجـاعـته وحروبه ، وكمال ابن عباس بفقهه وعلمه ، وكمال أبي ذر بزهده وتجرده عن الدنيا.

فهذه أربع مقامات يضطـر إلـيها المتكلم في درجات التفضيل . وتفضيل الأنواع على الأنواع أسهل من تفضيل الأشخاص على الأشخاص ، وأبعد من الهوى والغرض.

وههنا نكتة خفية لا ينتبه لها إلا مـن بـصـره الله : وهـي أن كـثيراً ممن يتكلم في التفضيل يستشعر نسبته وتعلقه بمن يفضله ولو على بعد ، ثم يأخذ في تقـريـظـه وتـفضيله ، وتكون تلك النسبة والتعلق مهيجة له على التفضيل، والمبالغة فيه ، واستقصاء محـاسـن المـفـضل ، والإغضاء عما سواها ، ويكون نظره في المفضل عليه بالعكس ومن تأمل كلام أكثر النـاس في هذا الباب

رأى غالبه غير سالم من هذا ، وهذا مناف لطريقة العلم والعدل التي لا يقبل الله سواها ولا يرضى بغيرها.
ومن هذا التفضيل كثير من أصحاب المذاهب والطرائق وأتباع الشيوخ كل منهم لمذهبه وطريقته أو شيخه ، وكذلك الأنساب والقبائل والمدن والحرف والصناعات ، فإن كان الرجل ممن لا يشك في علمه وورعه خيف عليه من جهة أخرى : وهو أنه يشهد حظه ونفعه المتعلق بتلك الجهة ، ويغيب عن نفع غيره بسواها ، لأن نفعه مشاهد له أقرب إليه من علمه بنفع غيره ، فيفضل ما كان نفعه وحظه من جهته باعتبار شهوده ذلك وغيبته عن سواه ، فهذه نكت جامعة مختصرة إذا تأملها المنصف عظم انتفاعه بها واستقام له نظره ومناظرته) (4)

القاعدة السابعة
المنهج الصحيح في الحب والبغض :

من المسلمين من يجتمع فيه أمران : أمر من الخير فيحب بسببه ويمدح عليه ، وأمر من الشر فيذم بسببه ويبغض من جهته . وأما الحب والولاء بإطلاق فهو للمؤمنين ، والبغض والبراء بإطلاق - أيضاً - فهو للكافرين ، فإن الحب والبغض من أوثق عرى الإيمان ، كما ثبت ذلك في الأثر(5)
وإنما القاعدة في المسلم الذي يخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً أنه يحب من جهة عمله للصالحات ، ويمدح لذلك ، ويبغض من جهة عمله للسيئات ، ويذم لذلك.
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- : (وإنه كثيراً ما يجتمع في الفعل الواحد ، أو في الشخص الواحد الأمران: فالذم والنهي والعقاب قد يتوجه إلى ما تضمنه أحدهما ، فلا يغفل عما فيه من النوع الآخر ، وقد يمدح الرجل بترك بعض السيئات البدعية الفجورية ، لكن قد يسلب مع ذلك ما حمد به غيره على فعل بعض الحسنات السنية البرية ، فهذا طريق الموازنة والمعادلة ، ومن سلكه كان قائماً بالقسط الذي أنزل الله له الكتاب والميزان (6)
ويقول في موضع آخر: (ولا منافاة بين أن يكون الشخص الواحد يرحم ويحب من وجه ، ويعذب ويبغض من وجه آخر) (7)
ويقول الذهبي -رحمه الله- عن أبي جعفر الباقر: (ولقد كان أبو جعفر إماماً مجتهداً ، تالياً لكتاب الله ، كبير الشأن ، لكن لا يبلغ في القرآن درجة ابن كثير (8) ونحوه ، ولا في الفقه درجة أبي الزناد وربيعة،ولا في الحفظ ومعرفة السنن درجة قتادة وابن شهاب ، فلا نحابيه ، ولا نحيف عليه ، ونحبه في الله لما تجمع فيه من صفات الكمال) (9).
وينبغي هنا التنبيه إلى أمر مهم، وهو : أن من الناس من يبني الحب والبغض على مدى موافقة الآخرين له، فتجد من يحب فلاناً من الناس لأنه على مذهبه أو طريقته في الدعوة ، أو لأنه ضمن جماعته؟! وأمثال ذلك، وبعض

الآخـريـن إذا خـالفــوه فـي رأي فقهي اجتهادي ، أو نظري عملي ، أو ما شابه ذلك ، وهذا كله دليل على اختلال الإيمان فـي القـلـب ، لأن هــذا الأمر مبني على أوثق عرى الإيمان ، فإن كان محملاً في الواقع، فهو كذلك في القلب.
يقول ابن تيمية -رحمه الله- : (فإن الإنسان عليه أولاً أن يكون أمره لله ، وقصده طاعة الله فيما أمر به ، وهو يحب صلاح المأمور ، أو إقامة الحجة عليه ، فإن فعل ذلك لطلب الرئاسة لنفسه ولطائفته ، وتنقيص غيره ، كان ذلك حمية لا يقبله الله ، وكذلك إذا فعل ذلك لطلب السمعة والرياء كان عمله حابطاً ، ثم إذا رد عليه ذلك وأوذي أو نسب إلى أنه مخطئ وغرضه فاسد ، طلبت نفسه الانتصار لنفسه ، وأتاه الشيطان ، فكان مبدأ عمله لله ، ثم صار له هوى يطلب به أن ينتصر على من آذاه ، وربما اعتدى على ذلك المؤذي.
وهكذا يصيب أصـحـاب الـمقالات المختلفة ، إذا كان كل منهم يعتقد أن الحق معه ، وأنه على السنة ، فإن أكثرهم قد صار لهم في ذلك هوى أن ينتصر جاههم أو رياستهم وما نسب إليهم ، لا يقصدون أن تكون كلمة الله هي العليا ، وأن يكون الدين كله لله ، بل يغضبون على من خالفهم ، وإن كان مجتهداً معذوراً لا يغضب الله عليه ، ويرضون عمن يوافقهم ، وإن كان جاهلاً سيئ القصد ، ليس له علم ولا حسن قصد ، فيفضي هذا إلى أن يحمدوا من لم يحمده الله ورسوله ، ويذموا من لم يذمه الله ورسوله ، وتصير موالاتهم ومعاداتهم على أهواء نفوسهم لا على دين الله ورسوله.
ومن هنا تنشأ الفـتـن بين الناس ، قال تعالى : ((وقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ ويَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ)) [الأنفال 39]
فإذا لم يكن الدين كله لله كانت فتنة.(10)
وأصل الدين أن يكون الحب لله، والبغض لله،والموالاة لله ، والمعاداة لله ، والعبادة لله ، والاستعانة بالله ...
وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمه، فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك ، ولا يطلبه ، ولا يرضى لرضا الله ورسوله ، ولا يغضب لغضب الله ورسوله ، بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه ، ويكون جمع ذلك له شبهة دين : أن الذي يرضى له ويغـضـب له أنه السنة ، وهو الحق ، وهو الدين ، فإذا قدر أن الذي معه هو الحق المحض دين الإسـلام ، ولم يكن قصده أن يكون الدين كله لله ، وأن تكون كلمة الله هي العليا ، بل قصد الحمية لنفسه وطائفته، أو الرياء، ليعظم هو ويثنى عليه ، أو فعل ذلك شجاعة وطبعاً ، أو لغرض من الدنيا ، لم يكن لله ، ولم يكن مجاهداً في سبيل الله ، فكيف إذا كان الذي يدعي الحق والسنة كنظيره ، معه حق وباطل ، وسنة وبدعة ، ومع خصمه حق وباطل وسنة وبدعة ؟!
وهذا حال المختلفين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ، وكفّر بعضهم بعضاً ، وفسّق بعضهم بعضاً ، ولهذا قال الله تعالى فيهم : ((ومَا تَفَرَّقَ الَذِينَ أُوتُوا

الكِتَابَ إلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ البَيِّنَةُ * وَمَا أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ويُقِيمُوا الصَّلاةَ ويُؤْتُوا الزَّكَاةَ وذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ))

الخلاصة :

من خلال ما تقدم على الإنسان أن يتقي الله عز وجل في نقده وألفاظه ، ويخلص النية لله ويتجرد عن الهوى وحظوظ النفس ، و لا يتكلم إلا بعلم وعدل وإنصاف ويقدم حسن الظن بالمسلم، ويـوازن بـيـن الـمـحـاسـن والمساوئ، ويجعل لكثرة الحسنات أو قوتها اعتبارها، ويتذكر أن الشخص الواحد غالباً مــا يجتمع فيه أمران ، فيحمد ويحب بسبب أحدهما ، ويذم ويبغض بسبب الآخر ، ثم تكون ألفاظه مهذبة ويبتغي بذلك وجه الله تعالى.

فمن سلك هذا السبيل ، فيرجى له الـصـواب والسداد ، وعدم التبعة يوم القيامة بما يقول ، ومن أخل بشيء مما سبق . فقد وقف على حفرة من حفر النار فلينظر موقع قدمه أن تزل وهو لا يشعر ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وعـلـى شباب الدعوة إلى الله أن يستفيدوا من كلام السلف الصالح عند عرض سير أعلام النبلاء فـإنـهم إذا كان لا بد لهم من الحديث عرضوا ما للشخص وما عليه . وإلا كفوا عن ذلك وشغلتهم عيوبهم عن عيوب غيرهم.

والله أعلم وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه.

الهوامش :

1- أخرجه البخاري برقم (3353) (4689) ومسلم (4/1846).
2- انظر سير أعلام النبلاء (21/207).
3- انظر منهاج السنة النبوية (4/543).
4- انظر بدائع الفوائد لابن القيم (3/161-164).
5- انظر مسند الإمام أحمد (4/286) ، وحسّنه الألباني في السلسلة (1728).
6- الفتاوى (10 / 366).
7- ا لفتاوى (51 / 294).
8- المقصود ابن كثير الذي هو أحد القراء ، وليس ابن كثير صاحب التفسير الذي هو من أقران الذهبي.
9- انظر سير أعلام النبلاء (4/402).
10- منهاج السنة النبوية 5/254-256 باختصار.

وقفات مع التحقيق والمحققين

محمد عبد الله آل شاكر

-1-

منذ قرون بعيدة أدرك العلماء أهمية تحقـيـق النصوص وتصحيحها ، وعلموا أنها مسؤولية عظمى تحتاج إلى جهدٍ كبير وإلى درايةٍ ومهارة ، فقال الجاحظ في مقدمة كتاب "الحيوان" : »ولربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيفاً أو كلمةً ساقطة ، فيكون إنشاء عشر ورقات من حر اللفظ وشريف المعنى ، أيسر عليه مــن إتمام ذلك النقص حتى يرده إلى موضعه من اتصال الكلام«.
ثم دار الزمن دورته ، وجاء أناس يزعمون لأنفـسـهـم التحقـيــق والضبط والمراجعة ، وقد انقلبت عندهم المفاهيم رأساً على عقب ، وابتدعوا طريقة في التحقـيـق جديدة ، لم يعرفها السابقون ، ولا يرضى عنها المعاصرون . بل إن عملية التحقيق نفسها أصبحت عند بعضهم "هلوسة" ، كلهم يريد أن يحقق ، كلهم يريد أن يحقق كل شيء ، حتى القرآن الكريم!
ومن عجيب ما وقع في يدي من هذا اللون كتاب بعنوان "دليل آيات العـبادات والأحـكـام الـشـرعـيــة" جمـع وتحقيق ذخر الدين شوكة ، عميد كلية الشريعة بالجامعة الأردنية ، الطبعة الأولى 1403 هـ، طبع جمعية المطابع التعاونية في عمّان. وهو يحتوي على مجموعة من الآيات القرآنية الكريمة مصورة من المصحف ويقابلها ترجمـة معانيها بالإنكليزية ، من كتاب »تفسير آيات القرآن الكريم« لمحمد بكتال ، الذي قامت بطبعه رابطة العالم الإسلامي ، عن طريق مكتبها الدائم في هيئة الأمم المتحدة بنيويورك! (انظـر صفـحـة 1 مـن مقـدمـة الكتاب).
رأيت هـذا الكـتـاب في معرض للكتاب ، فدعاني ذلك لسؤال صاحب المكتبة مازحاً : هل عندك القرآن الكريم محققاً ؟ وأبدى المسكين تأسفه لعدم وجوده!!
واستكمالاً لما سبق نـشـره فـي أعداد سابقة من البيان الغراء ، حول تراثنا وطريقة التعامل معه ، أشير في هذه المقالة إلى بعض الملاحظات ، والله الموفق.

-2-

اضطرب مفهوم التحقيق عند بعض الدارسين الذين استهواهم هذا الاسم ، فغدا التحقيق في عملهم شرحاً لمتن ، أو حاشية على الشرح ، أو تـقـريــراً عـلـى الحـاشية ، يستعرض فيه أحدهم قدرته على تتبع كل كلمة في النص وشرحها . ومن أعجب مـا رأيت من هذا اللون من التحقيق ما أسميته بـ "التحقيق الأزهري" ، (وللأزهر في نفوسنا مكـانــة ، فـهو مقصد طلاب العلم والعلماء) ، فقد لفت نظري إعلان عن كتاب استهواني موضوعه ، ولي فيه نوع اهتمام ، وهو "تحرير المقال فيما يحلُّ ويحرم من بيت المال" للحافظ تقي الدين ، أبي بكر محمد بن محمد البلاطُنُسي ، تحقيق ودراسة : فتح الله محمد غازي الصباغ ، منشـورات دار الوفاء بالمنصورة الطبعة الأولى ، 1409 هـ . واستعنت بالله ولم أستكثر الجنيهات التي دفـعـتـهـا ثمـنــاً له ، فهو

رسالة ماجستير قدمت لكلية الشريعة بالأزهر ، وبإشراف أحد الدكاترة »الذي كــان له الفضل في أن يسير البحث في خطواته الصحيحة (ليته كان) حتى وصل إلى الصورة التي عليها الآن« (كما يقول صاحب التحقيق والدراسة ص 16) . وتجاوزت المقدمة والـدراسـة التي بلغـت ثمانين صفحة ، ووصلت إلى متن الكتاب نفسه ، وأُصبت بصداع ، وأظلمت الدنيا في عيني ، وأسفت على الحال التي وصل إليها التحقيق ... فالمحقق وضع عنوان الكتاب في سطر واحد ، وأمام كل كلمة رقم إحالة ، وفي الهامش شرح لكل كلمة في العنوان : تحرير ... القول ... الحلال ... الحرام ...

واستغرق هذا الجهد ستة وعشرين سطراً بحرف صغير حتى أتى على شرح العنوان كله في ص (85). وفـي الصفـحة التالية : تعليقات ثمانية على سطرين اثنين يشرح فيها المحقق لفظ "المقدمة".. ولماذا بـدأ المؤلف بالبسملة والحمدلة ، ثم شرح لمعاني المفردات ! وفي ص (130) شرح للكلمات الآتية : الباب ، الفصل...الخ

ثم قلبت ورقة واحدة ، فـوجــدت هــذا العنوان : "سبب تأليف الكتاب" وفي الهامش مع الإحالة هكذا : "المحقق" ، (يقصد أن العـنـوان مــن عمل المحقق) كثيراً ما تطالعك هذه التعليقة البارعة. وبمناسبة ورود كلمة ، "بدعة" في الـمـقدمة ، بدأ صاحبنا يشرح معناها وأنواعها نقلاً عن الشاطبي والعز بن عبد السلام ، -رحمهما الله تعالى- . وعجبت من هذا الأسلوب في التحقيق أشد العجب، وقلت في نفسي : لا ضير، فلكل شيخ طريقة، ولشيخنا هذا طريقة أقره عليها المشرف على الرسـالــة ، ويبدوا أنهما لم يفرقا بين التأليف والشرح والتحقيق . ومن الطريف أن صاحبنا رقَّم على غلاف الكتاب : "تحقيق ودراسة" وفي آخر الإهداء في ص (5) التوقيع : "المؤلف" ، فهل هو محقق الكتاب أم المؤلف ؟ أم أن الإهداء من البلاطسني لوالديّ المحقق ولكل من يؤمن بالإسلام طريقاً للنجاة..؟!

وليت صاحبنا اقتصد في عمله ، وقرأ كتاباً فـي أصــول تحقيق النصوص ونشرها إذن لأفاد واستفاد ، وأراح واستراح.

وسار على هذا المنهج في التحقيق آخرون كما نجد فـي "المنتخب" للحافظ عبد ابن حميد، تحقـيـق وتعلـيـق أبي عـبـد الله مصطفى بن العدوي شلباية ، الجزء الأول ، دار الأرقم ، الكويت ، الطبعة الأولى 1459 هـ . وأين هــذا مما كــان يفعله علماؤنا في التحقيق وضبط النص ، رغم أنهم لم يتبجحوا بهذه الكلمة التي ابتذلت في أعمال كثير من الناس اليوم ؟ ومن أراد معرفة ذلك فلينظر إلى كتب أدب الطلب ، ولـيقــرأ مقــدمة كتاب »إرشاد الساري بشرح البخاري« للقسطلاني ص (39-41) ، أو مقدمة الملاَّ علي الـقـاري لكـتـابـه "مـرقــاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"!

وإذا أردت صــورة أخـرى من التعالم في "التحقيق والضبط والمراجعة" فستجد أمثلة كثيرة لذلك في الكتب التي أفـسدها المحققون والمراجعون الأدعياء ، الذين يضعون أسماءهم على أغلفة هذه الكتب المظلومة الـمفترى عليها باسم التحقيق ، وقد شحنوها بالأخطاء الفاحشة والنقص والسقط ، ولم يقابلوا نسخها المخطوطة ، وهي قريبة منهم وفي متناول أيديهم ولم يكلفوا أنفسهم عناء القراءة الـمـتـأنـيـة للكتاب ، ولم يصححوا فيه خطأً ، أو يضعوا عليه تعليقاً مفيداً ، أو أن يصنعوا له الفهارس التي تيسر الإفادة من الكتاب.
ولكي لا نكون ممن يلقى الكلام على عـواهـنه ، نأخذ مثلاً على ذلك ، وهو كتاب "قواعد الأحكام في مصالح الأنام" للعز بن عبد السلام -رحمه الله- ، الذي نشرته مكتبة الكليات الأزهرية من حوالي عشرين سنة ، نشرة سقـيـمـة سـيـئـة جداً ، ثم أعادت نشره بـطـبـعـة جـديـدة "مضـبـوطـة مـنـقحة" (هكذا زعم الناشر أو المحقق) في شهر صفر عام (1388) هـ ، راجعه وعلق عليه : طه عبد الرؤوف سعد.
وهذا الكتاب النفيس وأمثاله له مكانة في نفسي ، وتستهويني قراءته التي أشـعـر بلذتها ، ويعـكـر علي هذا أنني أقف عاجزاً عن فهم كثير من المواطن في الكتاب.. واتهمت نفـسـي وفهمي، وأحسنت الظن بغيري ، إلى أن حصلت على صورة من النسخة الخطية المحفوظة بالمكتبة الأزهرية (وهي على بعد أمتار من ناشر الكتاب!) وأخرى من مكتبة الحرم المكي ، وثالثة مــن دار الكـتـب المصرية بالقاهرة . ورجعت إلى بعض النصوص التي كنت بحاجة إليها ، فهالني ما رأيت، عـنـدما قابلت المطبوع بالمخطوط ، فلم أجد صفحة واحدة ، بل مقطعاً واحداً ، وأحياناً سطراً واحداً في صفحة ، خالياً من الأخطاء والتصحيفات والنقص ، حتى ليكاد النقض في المـطـبـوع يربـو على عشر ورقات ذات وجهين ، ومثاله في الجزء الثاني ص (27) ، ويقابله في النسخة الخطية المكية الورقة (179) وما بعدها.
وحتى التعليقات على الكتاب ، وعددها لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة في كتاب يزيد عن الخمسمائة صفحة ، هذه التعليقات مسروقة عن الطبعة الأولى (المكتبة الحسينية ، 1353 هـ) المأخوذة أو المقابلة على نسخة الشنقيطي ، وهي الطبعة التي اعتمدها محقق الكتاب ، ونشرها من جديد بنصها وفصها ، دون أن يشـيـر إلى ذلك . فما أدري ، ما الذي بقي من جهد أو عمل لهذا المحقق المحترم ؟! وليت شعري ، كـيــف يثق القارئ - بعد ذلك - بهذه الكتب التي أخرجها ، أو أخرجت باسمه ، وقد يقع الـكـتــاب مـنهـا في مجلدات ذوات عدد مثل : »الروض الأنف« بشرح سيرة ابن هشام للسهيلي ، وهو من أعـظـم شــروح السـيــرة وأدقـهـا وأكثرها فوائد ، و»تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام« لابن فرحون ، وهو عـمــدة الـدارسين

في القضاء والسياسة الشرعية ، و "القواعد الكبرى" لابن رجب الحنبلي ، وغيرها . فلا بد من إعادة النظر في طبعاتها كلها.

-4-

وعلى هذا النهج من التحـقـيــق يـســر الدكتور الطبيب (!) عبد المعطي أمين قلعجي ، في تحقيقاته المزعومة ، كتحقيقه لكتاب الـحازمي »الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار« دار الوعي بحلب ، الطبعة الأولى ، القاهرة 1403 هـ . وإن تعجب من تحقيقه ، فعجبك أكثر من تخريجه للحديث!

والطبيب المحقق هذا ، يبدو أنه يستحل جهود الآخرين وأتعابهم ، فيأخذ منهم كتباً ليطبعها لهم ، أو يكـلـفـهم بالعمل على تحقيقها بالاشتراك ثم يطبعها باسمه وحده ، وقد حدثني بذلك أحد كبار أسـاتـذة الأزهــر ، فقد وقع هو في أحابيله ، وجّرأه على ذلك كِبَر سن الشيخ وعدم قدرته على متابعة الطبيب المحقق!

وأما تحقيقات »محمد صادق قمحاوي« عضو لجنة مراجعة المصـاحف بالأزهــر الـشـريـف ، والـمـدرس بالأزهــر الشريف ، (كما هو مثبت على صفحة العنوان لكتاب "أحكام القرآن" لأبي بكر الجصاص ، طبعة دار المصحف بالقاهرة ، الطبعة الثانية).. وهذه التحقيقات ، طراز آخر من التحـقـيـق ، لا تجد فيه ضبطاً لكلمة ، ولا شرحاً لمصطلح ، ولا تعليقاً على رأي مثلاً ، ولا توثيقاً لنص ولا تخريجاً لحديث ، بل ولا تجد علامة من علامات الترقيم ، ولا إخراجاً فنياً يساعد القراء على القراءة والفهم حتى إنه ليصعب عليك أن تميز الآية التي يستشهد بها المؤلــف عن الآية التي يشرحها ، وقد بخل على الكتاب والقارئ باسم السورة إلى يفسرها المؤلف . أما صنع الفهارس المتنوعة للكتاب فهذا أبعد من نجوم السماء وكأنه بدعة ضلالة!

ولئلا نبخس الرجل أو نـهـضـمـه حقه ، فإن جهده - ولعله جهد المطبعة - يتمثل في أنه أخرج الكتاب في خمس مجلدات بـدلاً مــن الـثـلاثة في طبعة الآستانة . ووجدت له كذلك تعليقين في الجزء الأول من الكتاب ، أحدهما فـي الصفـحة الخامسة ، يقول فيها : »المراد بهذه المقدمة التي ذكرها المصنف - الكتاب الذي ألفه في أصول الفقه« . وفي ص (30) عند قول المؤلف عن نافقاء اليربوع : »لأن له أجحرة يدخل بعضها عند الطلب...« قال المحقق: »هكذا في النسخ التي بأيدينا ، وصوابه جِحَرة« (بكسر الجيم المعجمة وفتح الحاء) وكفى الله المؤمنين القتال! وكفى الله القارئين الجهد والتعب!

إدارة

الهدوء وضبط النفس
سمة القيادة الناجحة

سامي سلمان

أقصد بالقائد الشخصية القادرة على اختيار الرجال، وفرض احترامه علـيـهم ، والحصول على محبتهم ومعرفة إمكاناتهم واستغلالها ، ووضع كل منهم في المكان الذي يلائمه، وبث فكرة القوة والمساواة بينهم ، وتوزيع المسؤوليات عليهم ، وإشراكهم جميعاً في خدمة هدفٍ سامٍ على أن يتمثل فيه إيمان جاد بالمهمة التي يقوم بها.

وســـوف أشـير هنا إلى عنصر واحد من عناصر سمات القيادة الناجحة وهو الهدوء وضـبـط النفس ، وهي صـفــة جـلـيـة في رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في جميع أحواله ، إن الهدوء وضبط النفس موهبة فطرية وسمة خلقية تكتسب كذلك ، ولا بأس بذكر موقفين له -صلى الله عليه وسلم- تتبين فيهما هذه الصفة:

أولاً : في معركة حنين عندمــا فوجئ الـمسلمون بهجوم قوي من الكفار (هوازن ومن معها) وفر من فر ممن أسلم بعد الفتح ، وتراجع الـمسلمون عشوائياً ، في هذه اللحظات الحرجة والصعبة كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثابت الجأش هادئ الأعصاب يقول : أيها الناس هلموا إلي أنا رسول الله ، أنا محمد بن عـبـد الله ، ويقول لعمه العباس : ناد أصحاب الشجرة ، وبفضل الله ثم بفضل هذا الثبات من الـرسول -صلى الله عليه وسلم- آب المسلمون إليه ورجعوا يتجمعون حوله وانتصروا بعدئذ بإذن الله.

هذا الموقف يحتاج إلى تأمل ، ففيه الشجاعة وحسن الـتـصـرف ، وفيه هدوء النفس وعدم الهيجان ، وفيه التوازن مع ما في الحدث من شدة انعـكـسـت على الألــوف ممن ســار في الجـيـش ، يذكرني هذا الهدوء من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بقول أحدهم : »لكي يحافظ القــائد عـلـى هدوئه ، عليه أن يعتاد على معالجة الأمور المفجعة وكأنها عادية ، بدلاً من معالجة الأمــور العادية وكأنها فواجع«(1) ، ويقول كذلك : »على القائد الذي يود أن يكون أهلاً للقيادة أن يبدأ بقيادة نفسه ولا يمكن لمن لا يسيطر على نفسه أن يسيطر على الآخرين«(2).

إن استقبال أي حدث مـهـمـا كـانـت درجــة عظمته بهدوء وضبط نفس . يمكّن المسؤول والقائد من عدة أمور منها :

أولاً : استيعاب الحدث بمعرفة حجمه الحقـيقي ، فكم من موقف استقبلناه بشدة وغلظة بينما هو أبسط وأصغر من أن يواجه ويستعد له على حساب أمور أخرى- والعكس صحيح فكم من حدث ظهر لنا بسيطاً فلم يحسب له أي حساب فلما تبين لنا أنه كبير ويحتاج إلى موقف سريع منا لم نتمكن من استيعابه ، ففي كــلا الحـالـتـين ضبط النفس وهدوءها يعين القائد على دراسة حجم الأحداث.

ثانياً : استيعاب الحدث بمعرفة مسبباته ، الأسباب التي مــن شـأنـها أن تؤدي إلى وقوع الحدث يعين على معرفة أفضل المواقف التي ينبغي اتخاذها.
ثالثاً : اسـتـيـعـاب الحدث بمعرفة أبعاده المستقبلية ، فما من حدث إلا ولــه مــا وراءه ، والهدوء وضبط الـنـفـس مـمـا يعـين القائد على الاستعداد لمواجهته بعقلية الواعي لما يدور حوله.
فبمثل هذه الأمور الثلاثة وغيرها يوحي القائد والرئيس والمسؤول للآخرين ممن حوله أنه متمكن من الموقف وممسك بزمامه فلا يظهر عليه الخوف والارتباك ، فالقائد الحقيقي هو الذي لا يعرف الخوف ويتقن إخفاءه عندما يشعر به . ليوحي لمرؤوسيه بأنه دائماً أصلب من الخطر . فإن تجنَب ردود الفـعــل العصيبة وكبح جماح نفسه واستقبال المتاعب بروح مرحة ، وتقبل المخاطر بصبر ، طـمــأن بهدوئه مرؤوسيه ودفع عنهم الهلع الذي يعتبر في الأزمات أكبر الأخطار.
يقول (كورتوا): (ينظر المرؤوسون في ساعات الخطر غريزياً إلى وجه رئيسهم ، فإذا اكتشفوا لديه قلقاً أو توتراً عصبياً، انـتـشـر هــذا الشـعـور بينهم بسرعة تزداد بمقدار ما يكون هذا الرئيس محبوباً وموثوقاً.(3)
وحتى لا يظن القارئ أن الحاجة إلى مثل هذه الـسـمـة قـاصرة على المعارك مثلاً نسوق هنا موقفاً آخر لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، ففي غــزوة حـنـيـن نفسها غنم المسلمون غنائم كثيرة جداً ، فأعطى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من هــذه الـغـنائم أعطيات كبيرة للمؤلفة قلوبهم من أهل مكة وبعض زعماء الأعراب ، فوجد الأنصار في أنفسهم شيئاً لأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لم يعطهم ، وظنوا أنه قسّمه في قومه، فـجـمـعـهـم رسول الله --صلى الله عليه وسلم-- في مكان وخاطبهم قائلاً : »يا معشر الأنصار ، مقالة بلغتني عنكم ، وموجدة وجدتموها علي في أنفسكم ، ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله ، وعالة فـأغنكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ قالوا : بلى ، لله ولرسوله المن والفضل!
ثم قال: ألا تجيبونني يا معشر الأنصار ؟ قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله ولرسوله المن والفـضـل . قال -صلى الله عليه وسلم- : »أما والله لو شئتم لقلتم ، فلصدقتم ولصدقكم : أتيناك مُكَذَّباً فصدقناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وطريداً فآويناك ، وعائلاً فآسيناك . أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ! ألا ترضــون يـا مـعشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شـعـبــاً لسـلـكـت شعب الأنصار ! اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار.

قال : فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقـالـوا: رضـيـنـا برسول الله قسماً وحظاً . ثم انصرف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتفرقوا(4)

وأنقلك أخي القارئ إلى مظهر أحد الرؤساء وهو في حالة ضيق وهيجان وعصبية عندما نُقل له تذمر أحد مرؤوسيه أو جماعة منهم على تصرف أو تصريح بَدَرَ منه فما كان منه إلا أن أصدر قراره العاجل بالحكم عليهم بسوء الفهم وقلة الإدراك وبدا يخـطـط لتأديبهم بالسبل المختلفة . وأنا أطالب القارئ أن يقارن بين هذا الموقف الذي اتخذه هـذا الـرئـيـس وبـيـن موقف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذي يظهر فيه الهدوء وضبط النفس الذي مكنه من استيعاب الموقف خير استيعاب . ولنمضي جميعاً ونحلل موقف هذا الرئيس فنسأله :

1- هل راجعت نفسك في صحة ما بدر منك من عدمه؟
2- هل تأكدت من صدق ما نقل لك ومدى دقة هذا النقل؟
3- هل فكرت في سبب تذمر مرؤوسيك مما بدى منك؟.
4- هل فكرت في أفضل السبل لإيجاد حل للموقف؟
5- هل هناك مضاعفات للموقف تحتاج أن تلم بها؟

وسـوف تجد أن الذي لم يتحلَّ بالهدوء وضبط النفس لن يتمكن من سؤال نفسه مثل هذه الأسـئلـة بل ينساق وراء ما تمليه عليه نفسه المضطربة من وقع الموقف . وما أجمل ما قاله أحد الخـبـراء : »لا يـتـأثـر الرئيس الفعّال لأن شخصاً خالفه أو انتقد رأيه بل يعتبر هذا الشخص عنصراً جديداً من عناصر المعضلة الواجب حلها«.

ومما تقدم يبرز أثر انعدام صـفــة الهــدوء والقدرة على ضبط النفس من سلبيات وخيمة في ميزان القيادة الحكيمة وإن من المسلمات فـي علم الإدارة أنه لا يمكن لرئيس عصبي سريع الانفعال أن يقوم بمهمته الأساسية وبشكل مشــوق وهـو في الحقيقة مثال للقلق والرعونة ، تلك الأمور التي عليه أن يحاربها لدى الآخرين.

يقول صاحب كتاب فن القيادة : »يوحي الهدوء بأن صاحبه ذو إرادة لا تتحول عن هدفها وتسبب نظرة الرئيس الهادئة العميقة شعوراً من القـلـق لدى المشاغبين ومثيري المشاكل من المرؤوسين ، وإحساساً غريزياً بأنهم أمام قوة لا تقهر«.

الهوامش :

1- لمحات في فن القيادة ج. كورتوا الطبعة الثالثة 1986م.
2- المصدر السابق.
3- المصدر السابق.
4- السيرة النبوية لابن هشام ، دار القلم الجزء الرابع ص 85.

أخلاق

شيوع الأخلاق النفعية
في العصر الحديث

محمد الناصر

إن ظاهرة الأخلاق النفعية أضحت أمراً مـقـلـقـاً ولافـتاً للنظر في هذا العصر .. وقد أدت إلى نتائج خطيرة في التعامل بين الأفراد والجماعات .. بـل أصـبــح المرء يصاب بإحباط شديد وخيبة مريرة لما يجده من ازدواجية عند صنف من الناس ، وتـزداد الـغـرابة عندما نلمس ذلك عند بعض مَنْ يتخذون ظاهرة التورع والتدين وسيلة لمآربهم الخاصة ...

وبـعـد أن يـضـمـحل أثر الإيمان في النفوس ، يستمد الناس قيمهم في التعامل مـن الهــوى والمصلحة الشخصـيـة ، بل تصبح هذه المصلحة هي الشاغل الأول لأمثال هؤلاء ، ومن هنا فلا يرجى مـن أعـمـالهم خير مهما تلبسوا بالصلاح ، لأن الإخلاص والتجرد لله من أعظم خصائص هــذا الدين ، قال تعالى: ((وَمَا أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ)) [البينة 5]. ويقول -صلى الله عليه وسلم- : »إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى« متفق عليه.

ويقول ابن تيمـيـة -رحمه الله- في هذا المجال : »والأعمال الظاهرة لا تكون صالحة مقبولة إلا بتوسط عـمــل القلب ، فإن القلب ملك والأعضاء جنوده... ولهذا قال -صلى الله عليه وسلم- : »ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ؟ ألا وهي القلب« (1).

فالإخلاص يبعث في نفس المؤمن كريم البواعث ، فيعمل جاهداً على إشاعة الخير والتعاون والعدل بين الـنـاس . إلا أن هذه النزعة ، نزعة الأنانية والنفعية غزت مجتمعاتنا بعد أن سادت أخلاق الغربيين من خلال غزوهم الفكري لبلادنا.

سيادة الأخلاق النفعية في ديار الغرب :

لقد غزت فلسفة الـغـربيين مجتمـعـاتـنا المسلمة ، ويرى أصحاب هذه الفلسفة (النفعية) أن السعادة الحقة هي التي يشعر بها الإنسان نتيجة لإشباع دوافعه الطبيعية وغرائزه الحسية دون التقيد بدين أو خلق قويم.

»وأصبحت الأخلاق الحديثة تُستمد من القـيـم المـاديـة النفعية تحدوها ميكافيلية صريحة ، وأضحى التعامل الاجتماعي قائماً على رابطة المصلحة وحــدها ، على الأخلاق التجارية.

لقد كفرت أوربا بالدين والأخلاق ، ونبذ المجتمع كل مقومـاتـه الـمـسـتـمـدة مــن هـذيـن الاتجاهين« (2).

تطور هذا الاتجاه النفعي في أوربا وأمريكا ، وأخذ صوراً مختلفة ، يمكن إيجازها في ثلاثة مذاهب(3). لعل ذلك يوضح لنا ما نحن في صدده ، وأثر هذه الأخلاق في سياسة القوم.

المذهب الأول : مذهب المنفعة الشخصية ، وله صورتان :

صــورة دعــا إلـيـهـا أحــد تلامذة سقراط »أرستبوس« وقد فسر السعادة لدى أستاذه باللذات العاجلة بدلا من الآجلة ، وأن إشباع الدوافع في حينها أمر ضروري لأن تأخيرها يؤدي إلى الشعور بالحرمان والكآبة، فــلا حـيـاء ولا خـجـل في طـلـب اللذات في آية صورة كانت ، ويعتبرون أن السلوك الذي يحقق هذه السعادة سلوك أخلاقي.

والصورة الأخرى : تتمثل في الفردية التي دعا إليها »هوبز« ومــن سلك مسلكه ، فقد ادعى أن الطبيعة الإنسانية طبيعة أنانية تعمل لمصلحة الذات ، وقــد اخـتـرع الإنـسـان المبادئ الأخلاقية ليتخذها وسيلة يحقق فيها منفعته الشخصية.

ومن هنا يرى أن الأخلاق ما هي إلا وسيلة لتحقيق المنفعة وليست طبيعة في الإنسان.

المذهب الثاني : مذهب المنفعة العامة.

قــال أصحابه : على الإنسان أن ينشد منفعة البشر عامة حتى الحيوانات ، واعتبروا أن إقـرار المنفعة غاية للأفعال الإنسانية ، ومعيار للأخلاق ، وتقاس أخلاقية الفعل بنتائجها لا ببواعثها.

المذهب الثالث : مـذهـب النفـعية العملية »المذهب البراغماتي« ويمثله جون ديوي ، ويهتم البراغماتي عادة بماله من قيمة معنوية.

والخطورة في هذا المذهب أن ديوي أرجع الـمـثـل الأخـلاقـيـة إلى نتائج الظروف الواقعية للإنسان، فهي ليست مـبـادئ مـطـلـقـة ثابتة يضعها الفلاسفة، كما أنها ليست من وضع المجتمع ، ولا من وضع السماء.

ثم أنكر أن تكون للأخلاق غاية عليا سامية وثابتة ، وأن لها مبادئ مطلقة لا تقبل التغير، ذلك لأن الحياة متطورة (4).

لقد سيطرت هذه الفلسفة بمذاهبها الـمـخـتـلـفـة على أخـلاق الناس والحكومات في أوربا بقسميها وفي أمريكا ، فاهتزت الأخلاق واضطربت الموازين ، وسـيـطـرت المنفعة والأنانية، وتـحــول الناس إلى ذئاب بشرية ، ومن ثم طغت الروح الرومانية والفلسفة الإغريقية على أوربا من جديد.

وصارت بعض القيم، كـالـصـدق والأمـانـة والاسـتـقـامة مثلاً لا تطبق إلا في حدود القومية ومصلحة البلاد على أساس ما تجلبه من النفع لحاملها ، وتبطل إذا بطلت المنفعة القريبة أو البعيدة.

وهاهي المواثيق تعقد وتوثق ، وفي لحظة غادرة تـنـقـض وتـصـبـح حبراً على ورق مجرد أن تلوح المصلحة القومية في نقض الميثاق.

ويمر الناس بهذا الأمر غير مبالين ، لأن النظرية شيء والتطبيق شيء آخر بموجب فلسفة الجاهلية اليونانية (5).
وقد عانت أمتنا من هذه الأخلاق الأمرّين خلال الاستعمار القديم وأثناء التعامل المعاصر من ازدواجية مريرة في قرارات الأمم وما يسمى بمجلس أمنها.
»إن السياسة لا تتفق مع الأخلاق في شيء ، والحاكم المقيد بالأخــلاق ليس بسياسي بارع ، وهو لذلك غير راسخ على عرشه« (6).
هذا ما ينصح به أشرار اليهود في خططهم . وهذا ما يفسر لنا سياسة المستعمرين.
»كان الاستعمار يتوسل بكل سفالات الأرض ليوطد سلطانه ، ويمتص دماء الناس ، ولا يرى في ذلك انحرافاً فالغاية تبرر الوسيلة ، ولا يهم عندهم أن تكون الغاية ذاتها نظيفة« (7).
وهذا ما أشار إليه الشاعر العربي إذ يقول :

قتل امرئ في غابة جريمة لا تغتفر
وقـتل شعب آمـن مـسـألة فيها نظر

ورغم ذلك كله فقد فتن بعض المسلمين في القرن الحالي بحضارة أوربــا وظـنـوا أنـهــا ذات ركـائـز تصلح لأن يُقتدى بها ، ونسي كثير منهم أن يميزوا بين التقدم المادي والتـخـلــف العـقـدي والأخلاقي ، فتنوا ببعض ما يبدو من صدق وأمانة حيناً ، لأنها عند القوم تؤمن لهم ثـقــة ووقتاً ، إلا أن أخلاقهم هذه ستتغير إذا لاحت منفعة أشد ، ومصلحة أقوى.
فالأخلاق النفعية سمة بارزة من سمات الجاهلية المعاصرة ، بينما كان للعرب في جاهليتهم بعض الترفع والإيثار كإغاثة الملهوف ونجدة الصريخ والذب عن حرمات الجيران.

الغاية لا تبرر الوسيلة :

هذا مبدأ إســلامي أصيــل ، إذ لا بد أن تكون الوسائل الأخلاقية سامية كالغايات تماماً ولابد أن يكون العمل خالصاً وصواباً حتى يتقبل ، ولهذا قال الأصوليون : الغاية لا تبرر الوسيلة ، واتخذوا ذلك قاعدة تشريعية مستدلين بقوله تعالى :
((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وابْتَغُوا إلَيْهِ الوَسِيلَةَ وجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) [المائدة:35]
فالآية ترسم طريق الفلاح بأن يتقي المسلم ربه بترك المحرمات وأن يتقرب إليه تعالى بأداء الواجبات والتمسك بالقيم الأخلاقية ، ولا يمكن التقرب إليه بالمحرمات.(8)

نتائج وملاحظات :

1- المعروف أن المجتمعات الإسلامـيـة تـتـمـيـز بالمحبة والتآخي والإخلاص ، ومقاومة الأهواء.

وأن الإيثار والتضحية والشهامة من أخص أخلاق العرب فـي جـاهـليتهم وإسلامهم .. وأن الأنانـيـة والنفعية أخلاق وافدة على أمتنا قد غزتها بعد أن ضعف وازع العقـيـدة ودواعـي الإخلاص.

2- النفـعـيـة أخــلاق غـربـيـة بنـيـت على مذاهب فلسفية تنسجم مع تطلعات أصحابها ومعتقداتهم وتصوراتهم عن الحياة والإنسان ، وهي أخلاق دخيلة غريبة على أمتنا.

3- لابد للمربين والدعاة إلى الله أن يهـتـمـوا بمـعـالـجــة هــذه الظاهرة من خلال التربية والتوجيه ؛ بإبراز النماذج الرائدة عند سلف هذه الأمة ، وأن يـضـرب الدعاة والمربون من واقع حياتهم أمثلة صادقة بالمعايشة والقدوة الحسنة.

4- إن النفـعيين والانتهازيين خطرهم جسيم ، في المؤسسات التجارية والعلمية والدعوية، لأنهم سيتجاوزون كل القيم في سبيل مطامعهم وطموحاتهم ، ومن تمعن في أحداث التاريخ أسعفته الشـواهــد ، والعـاقــل من اتعظ بغيره ، والحذر يجنب صاحبه المزالق والندم قبل فوات الأوان.

5- لابد أن يتميز الداعية إلـى الله ، والمربي الجاد بصفات الإيثار والتضحية وكرم النفس بعيداً عن الجشع والمراوغة والاحـتـيـال ، عسى أن يـسـاهم فـي البناء العقدي والأخلاقي المتماسك لهذه الأمة بإذنه تعالى.

الهوامش :

1- الفتاوى 11/381.
2- اعلمانية د. سفر الحوالي ص 410.
3- انظر.الاتجاه النفعي : من كتاب الاتجاه الأخلاق في الإسلام د. مقداد يالجن ص 27-39.
4- تجديد الفلسفة : جون ديوي ص 273 نقلاً عن الاتجاه الأخلاقي في الإسلام مقداد يالجن.
5- جاهلية القرن العشرين : الأستاذ محمد قطب ص 159-162.
6- بروتكولات حكماء صهيون : البروتوكول الأول ص 32 ط 2.
7- جاهلية القرن العشرين ص 153.
8- الاتجاه الأخلاقي في الإسلام : مقداد يالجن 296.

البيان الأدبي

دور المرأة في القصة والرواية

د. عبد الله الخلف

ما الدور الذي يمكن أن تمثله المرأة في القـصـة القـصـيرة أو الرواية ؟ وهل من الضروري أن يسند إليها دور معين فيها؟
إن القصة قصيرة كانت أو طويلة لا بد أن ترتبط بواقـع الـحـيـاة بـصـورة ما ، والمرأة تمثل دوراً هاماً وأساسياً في حياة البشر ، لذلك كان من الطبيعي أن يكون لها مكانها الذي تمثله في هذا العمل الأدبي.
وإذا نظرنا في قصص القرآن الكريم فسوف نجد من بين شخصياتها عــدداً من الشخصيات النسائية . فأم موسى قامت بدور الأم المؤمنة المستسلمة لقضاء ربها . ومـثـلـت امرأة فرعون دور المؤمنة الصابرة على الأذى في سبيل الله . ومثلت امرأة العزيز دور الـمرأة الفتنة التي يمكن أن يتعرض المؤمن للامتحان بها . ومثلت حواء بالمشاركة مع آدم -علـيـهـا السلام- دور الإنسان عندما يتعرض للابتلاء ولإغواء الشيطان فينهزم أمامه ، ثم يدرك أنه لا ملجأ من الله إلا إليه فيعود إليه تائباً منيباً.
وقد ورد ذكر نساء أخريات أو تمت الإشارة إليهن في بعض قصص القرآن.
وهـكـذا نجد أن المرأة كانت حاضرة في ذلك القصص ، وهو أمر يدل على أن لها مكـانـهـا ودورها الهام الذي يمكن أن تقوم به في القصة.
وإذا مــا نظـرنا إلى الأعمال الروائية في العصر الحديث فسنجد أن المرأة دخلتها من أوسع أبوابها ، واحتلت مكاناً بارزاً فيها ، غير أن الكثير من كتاب الرواية قد أدخلوا المرأة في أعمالهم لا بوصفها عنصراً فنياً تقتضيه الضرورة الفنية للعمل الأدبي ، بل بوصفها عنصراً يساعد على جــذب القــارئ وشــد انـتـباهه لمتابعة الأحداث ، أو لإغرائه باقتناء الرواية وقراءتها ، وكأنهم يلتقون في ذلك مع شـركــات الـدعـايـة والإعلان ، التي تظهر المرأة في إعلاناتها ، ولو لم يكن لها أي صلة بالمادة المعلن عنها ، مـستـغـلة إياها في جذب المشاهد ومداعبة غرائزه . لذلك نجد الدور البارز الذي لعبته المرأة فـي تلـك الـروايات يدور حول العلاقات الغرامية أو الجنسية المثيرة.
وإذا كـان هـنـاك عــدد كبير جداً من كتاب الرواية قد أسندوا إلى المرأة مثل هذه الأدوار ، فإن منطلقاتهم لم تكن دائماً واحدة . فمنهم من كان قصده إشاعة الفساد والانحلال من غير أن ينظر إلى مدى أهمية ما قام به من الناحية الفنية.
ومنهم من هو متأثر بالآراء والنظريات والدراسات النفسية الحديثة ولا سيما نظريات فرويد التي تعطي الجنس الأهمية الكبرى في حياة البشر ، وترى أنه المؤثر الأعظم في سلوكهم.
ومنهم من يشعر بضعف القيمة الفنية لعمله، ويدرك أنه لا يستطيع اجتذاب القراء،فيجعل في تناوله لهذا الجانب وسيلة لاجتذابهم وشركاً يصطادهم به.
ونتيجة لشيوع إسناد مثل هذه الأدوار إلى المرأة في القصة الحديثة ظن البعض أن ذلك مقوم من مقوماتها وعامل فعال من عوامل نجاحها ، وشرط

أساسي لبلوغها المستوى المطلوب . وظـنـوا أنه لا غنى للكاتب ولا مفر له من أن يضمن قصصه شيئاً من ذلك ، وإلا فقد عمله قدراً كبيراً من قيمته وجاذبيته.
ويبدو أن هذا الظن تسرب إلى بعض كتاب القصة من ذوي الاتجاه الإسلامي ، فأسندوا إلى المرأة أدوارا غـرامـيـة ، وأصبح الهيكل العام لبعض رواياتهم قائماً على أساس وجود هذه العلاقة بين بطل القصة وبطلتها ، دون أن يكون لهذا مغزى جوهري أو قيمة فنية ، نجد مثل ذلك عند نجيب الكيلاني ، وعلي أحمد باكثير.
وإذا كان هذا الأسلوب قد أدى إلى جذب بعض القراء فإنه أدى أيضاً إلى نفور طائفة أخرى . وهو أسلوب لا يخلو من آثار سلبية ونتائج عكسية.
أما الظن بأن إسناد مـثـل هــذه الأدوار إلى المرأة تقتضيه الضرورة الفنية فإنه ظنٌ بعيد عن الصواب ، وهناك من الروايات مــا نال الإعجاب الكبير ، ونال به صاحبه شهرة واسعة على الرغم من خلوه من النموذج النسائي .
فرواية الشيخ والبحر للأديب الأمريكي أرنست همنجواي من أشهر الروايات ، وترجـمــت إلـى كـثـير من اللغات ، ونال عليها صاحبها جائزة نـوبـل للآداب مــع أنه ليس من بين شخصياتها أي شخصية نسائية . وهي رواية تبرز قيمة العمل والكفاح والمثابرة والاعتماد على الذات.
ومن الـروايــات المـشـهــورة رواية الطاعون للأديب الفرنسي ألبير كامو الحائز على جائزة نوبل، وهي أيضاً تخلو مــن الحـديـث عن الحب والغرام وأبرز الشخصيات النسائية فيها لعبت دور الأم.
لذلك يمـكـنـنـا القــول بـأن القـيـمـة الفنية للعمل الأدبي لا تتوقف على نوع الأحداث أو الشخصيات ، إذ أن الكاتب القدير يسـتـطـيع أن يحول أحداثاً بسيطة وشخصيات مألوفة إلى عمل فني جميل قادر على أن يحوز على إعجاب النقاد ، ويترك أعمق الأثر في نفوس قرائه.

شعر

جزائر الخير

د.عبد الرحمن صالح العشماوي

جـزائرَ الخير...أيـن الـرائـح الغادي أين »ابنُ باديسَ« أين الغصن والشادي
جـزائرَ الخير ... تاه اللحن في شفتي وضـاق عـن حـسـراتي ثـغـرُ إنشادي
ووثَّـق الحـزن فـي قـلـبـي روابـطــه وقـد رأى مـن جـراحـي خـيرَ إمدادِ
جـــزائـــر الخـيـر ... لا ظـلٌ ولا ثمرُ ولا خُـــزامـى ولا فُـــلٌّ ولا كـــادي
تـصَّـحـرت أرضُ أحـلامي ، فقافلتي تـسـيـر فــيــهـا بـلا مـــــاءٍ ولا زادِ
نـام الخـــلـيُّــون في أحـضـان رغبتهم ونــحــن فـي أرقٍ مُـضـنٍ وتَـســهـادِ

نـخـشى عـلـى أُمَّةِ الإسلام حين نرى قــوافـل الخير تمـضي دونما حــادي
نـخـشى من الراكبين الوهمَ ، ما قطعواشـــوطـــاً ، ولا فـتـحوا باباً لإنجادِ
تـعـمـى بـصائـرهم عـن كـلِّ منحرفٍ ويـــرصـدون ذوي التقـــوى بمرصادِ
مـا بـالـهـم سـلـبـوا عـيـنـيـكِ نـورَهماً وكـبَّـلـوكِ بـأغــــلالٍ وأصــــفـــادِ
مـا بـالـهـم جـعـلـوا الأبـواب مـشرعةً لـلـغـرب ،مـغـلـقـةً في وجـه أجدادِ
مـا بـالـهـم جـعـلـوا »بـاريـس« قـدوتهم ووجَّــهــوا نـحـوهـا وجـدانَ مـنـقـــادِ
مـا للصحـافـة تجـري فـي أعـنّتها عـلـى مـســاحـاتِ أوهـــامٍ وأحـقــادِ
مـا بـالُـهـا لا تـــرى إلا الـظــلامَ ولا تــــرى مــعـالـم إنـقـــاذٍ وإرشـــــادِ
جـزائـرَ الـخـير مـا بـال الربـيع شـكا مــوت الــزهــور وصَمْتَ البلبل الشادي
مـا لـي أرى تـلـمـسان الـحـبِّ واجمة وفي الجــنـــوب أرى إطـراقـةَ الـوادي
تـدفُّـقُ الـنــور مـن كـفـيـك أفـزعـهـم والـنـــور يُـفـزع مـن يَـسـعـى لإفـسادِ
وأبـصـروا مـن شـبـاب الـحـقِّ هـمّـتَـه مــا بـيــن حــافـــظ قـــرآنٍ وسَـــجَّـــادِ
فـاسـتوقـفـوكِ عـلـى أبـواب حـيرتهم وحــرَّكــوا ألــفَ كــوهــيــنٍ وحـــــدَّادِ
تـسـعـيـن في طـرق الإيـمـان جـاهــدةً وتــشــرئـبّـيـن فـي شـوقٍ إلـى الـهـادي
وتـنـشـديـن لـنــور الـفـجـر أغـنـيــةً تـسـجـلـيـن بـهـا تـاريـــخَ مــــيــــلادِ
وهـم يـغـنـون ألـحـان الـضـيـاع وقــد مــــلَّــت تـرانـيـمَـهـم أوتـارُ أعـــــوادِ
جـزائـرَ الـخـيـر مـا هـانـت روابطُـنا ولا خـضـعــنـا لأعــداءٍ وحُـسَّــــادِ
ولا خُـدِعْـنَـا بـأقــوالٍ مـلــفـقــةٍ تُـــــدار مـــــا بـــيـن خـــرَّاز وزرَّادِ
بـين الـمـشـاعـر جـسـرٌ مـن عـقـيدتنا وبـيــن أفـواهـنــا جـســرٌ مــن الـضـادِ
مـا زلـتُ أذكـر مـلـيـونـاً ، جـمـاجهم شـواهــدُ الــعــزِّ فـي تــاريـخِ أمجادي
روت دمـاؤُهـم الأرضَ الـتـي كـسرتْ طَــوْقَ الـخـضـوعِ لأمـر الغاصب العادي
جـزائـر الـخــيـر ، هـذا نَهْرُ صحوتنا مـا زال يـنـبـع مـن قـافٍ ومـن صـــــادِ
مـا زال يـغـلـسـنـا مـن كـل مـنـقـصةً فــيــنــا ، لــبــســنـا بـها أثوابَ إخلادِ
غـداً - بإذن إله العرش - سوف نرى كـتـائــب الـحـق تـمـحـو كـلَّ إلـــحـادِ
وسـوف نـمـسـح عـن أجـفـان أمـتـنا مــا خَـلَّــف الـدمـع مــن آثـــار إجـهـادِ
جـزائـرَ الـخـيـر ، إنـي سوف أعلنها صــريـحــة ذات إبـــراقٍ وإرعــــــادِ
الـظـالـمون سـواءٌ كـيـفـمـا اخـتــلـفـتْ أوصـافُـهــم ، كـلُّـهـم »جـــزَّارُ بــغـــداد«
تـعــدّدتْ رتـب الأقــوام واخـتـلــفـوا وجـمَّـعـتْ بـيـنـهـم أوصــافُ جـــلادِ
هـذا نـدائـي فـيـا دنيا اسمعي وخذي وبـلِّــغـي ، وافــهــمـي مـعـناه وازدادي:

قصة قصيرة

أين الكعبة

أبو سهل البخاري

وأنا أسير في ساحة الحرم متجهاً إلى الكعبة ، سمعت صوتا ينادي (حاجي ، حاجي !!!) فالتفت فإذا بحاج قد بدت في وجهه آثار الجهد والإرهاق ، كانت هيئة وملامح وجهه تدل على أنه من بلاد ما وراء النهر ، قال لي بالأزبكية مع حركات يديه الكثيرة محاولاً إفهامي : كم علي أن أطوف بالبيت ؟ فأجبته بالأزبكية ، (وهي كل ما تبقى لنا من ذكريات بلادنا المنسية): عليك أن تطوف سبعة أشواط . فرأيت السرور داخله بمعرفتي لغته، ثم ما لبث أن قال باستعجاب: سبعة أشواط ! وهل تستطيعون ذلك، لقد بلغ الجهد مني مبلغه من أول شوط حول بيت الله وأشار إلى مبنى الحرم الخارجي ، ففهمت سبب تعجبه من كلامي ومدى ما أصابه من إرهاق ، لقد ظن هذا المسكين أن هذا المبنى هو الكعبة فشرع في الطواف حول الحرم كله دون تردد ، يا الله !... لم ير البيت قبل الآن !!!

فقطع تفكيري صوته قائلاً: استعين بالله وأكمل الطواف، ثم أخذ في الانصراف، فوجدتها فرصة سانحة للتعرف على ما يدور داخل بلاد المسلمين فاستوقفته عارضاً عليه مساعدته ، فرحب مسروراً.

ذهبنا سوياً إلى داخل الحرم وأشرت إلى الكعبة المشرفة وقلت له : هذا هو بيت الله ، لا الذي طفت حوله قبل قليل ، فما هي إلا لحظات حتى رأيت الدموع تنهمر من عينيه ،

وقال : يا الله !... هذا هو بيت الله ، سمعت به كثيراً...

ولم أره إلا الآن!!... فأسرع الخطا نحو البيت وأسرعت معه قائلاً : هذا من فضل الله عليك أن يسر لك القدوم إلى بيته وقد حُرِمَ من ذلك الكثير ،

فقال بصوت منتحب : كم سمعت أبي -رحمه الله- وهو يدعو ويتمنى رؤية بيت الله ولكن الشيوعيين لم يمكنوه من ذلك... فمات وفي قلبه حسرة وألم . لقد ذقنا يا بني الكثير مما لا أظن أن أحداً ذاق مثله ، ولكن... دعنا نطوف بالبيت أولاً ثم أقص لك شيئاً مما نلناه.

وبعد طواف رق به قلبي وذرفت عيناي مما شاهدت من عجيب انكساره بين يدي الله وبكائه وعظيم حمده لله على تمكينه من حج بيته انطلقنا بعيداً عن الزحام وجلسنا في ناحية مستقبلين البيت العتيق ، فقال لي ما اسمك ؟ وكيف تعلم لغتنا ؟

قلت : اسمي عبد اللطيف البخاري ، هاجر والد جدي مع أهله وأبنائه في بداية المحنة، وانقـطـعـت عنهم الأخبار فلم يبق لدينا إلا هذه اللغة وقصصاً تروى عن البلاد.. دعك مني الآن وأخبـرني عـن أحوال المسلمين هناك ؟ هيا أخبرني بالتفصيل فالوقت يدركنا ..

قال: أنـتـم فـي نـعـمـة عـظـيـمـة لا بد لكم من شكرها ، نحن عشنا هناك مسلمين ولسنا مسلمين!!! لم يترك لنا الروس شـيـئـاً يمت إلى الإسلام بصلة إلا وحاولوا إبادته وإنهاءه حتى اسماءنا ، هل تصدق..؟

والدي أسماني عبد الحكيم ولكني لا أعرف بهذا الاسم إلا في البيت..

أما رسمياً فاسمي حكيموف!! إن الـروس قـد فعلوا هذا بالأسماء وهي أسماء لا تضرهم ولا تقاومهم فماذا تظن أن يفعلوا في علمائنا ومـشـايخنا الذين يعلموننا القرآن والسنة ؟ نعم لقد ضيقوا علينا جداً حتى إن شعائر الإسلام قد اندرست أو كادت.

دعني أقص عليك طريقة كان بعض علمائنا يـتـبـعـونـهـا في تعليم الصبية كتاب الله ، كان الشيخ يصعد فوق سقف المنزل من الداخل بسلم ويصعد الـطــلاب خلفه ثم يرفع السلم إليه ويخبئه ويلقي الدرس بصوت خافت لكي لا يعلم أحد بهم ... وقــل مـثـل ذلك في مخازن تحت المنزل . كان الشباب في المصانع إذا أرادوا المذاكرة ومراجعة شيءٍ مــن الـعلم اجتمع كل أربعة أو خمسة في وقت تناول الطعام ويتحدث كل واحد بما عنده دون أن يلتفت إليه الباقون لكي لا يعلم بأمرهم.

حتى الصلاة .. التي هي عماد الدين كان الواحد يذهب ويختبئ بعيداً ويصليها سـريـعـة ويـعـود لـكـي يذهـب الآخر فلم نعرف الجماعة منذ عهد بعيد . هكذا كان حال المهتمين والحريصين على بـقــاء شعائر الإسلام عند أبنائهم أما عامة الناس فحدث ولا حرج.

وماذا تستطيع أن تفـعــل لهم وأنت لا تأمــن على نفسك وأهل بيتك ؟ آه كم أشعر بالأسى على مشايخنا وعلمائنا الذين كان لهم الفـضــل بـعــد الله على بقائنا مسلمين ، نلنا ما لم يستطيعوا أن ينالوه ، بل لم نستطع أن نقدم لهم أبـســط حقـوق الـمـسـلم ، لم نستطع أن نغسّلهم ونكفنهم كما يأمرنا ديننا فماتوا ودفنوا حسب مراسم الدفن الشيوعية حتى الصلاة عليهم لم تكن إلا سراً في جوف بيته.

لـم أتـمـالك نفـسـي فبكيت وأنا أسمع ما يقول ، حقاً إننا في نعمة من أمرنا ، هذه النعمة جعلتنا ننسى شكرها (إلا من رحم الله) ، يــا إلهي كم نال هؤلاء القوم ليتركوا دينهم رغم ذلك وبعد هذه السنين الطويلة لا يزال هناك من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله . ولا يعبد إلا الله ، نعم صدق الله ((وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ)) كم كنت أعيش في غفلة ، أشعر أنني تعلمت من هذا الشيخ الشيء الكثير ، شيئاً قد لا أجــده مـسـطــراً فـي

الكـتـب ، لكـنــه موجود في الواقع ، أشعر أن أمامي مسؤولية عظيمة وحملاً ثقيلاً . ولكن نعم! من قال إن أمــر هــذا الدين سهـل ، لقد كان شاقاً حتى على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : ((إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً)) فهل نحن أعـز على الله مــن نبيه ومصطفاه ، حاشا وكلا ، فلا بد من العمل ، لا بد من العيش للآخرين ، لأن من عاش لنفسه عاش صغيراً ومات حقيراً ؛ ومن عاش لغيره عاش عظيماً وعمّر طويلاً حتى بعد موته.

ثم ودعته وشكرته بحرارة وانصـرفــت وكأن على كاهلي جبلاً عظيماً ، رغم ذلك ، كنت مسروراً سعيداً ، أفكر فيما حدث هذه الليلة وأعيد شريط الأحداث من بدايته ، وأنا أشق جموع الحجاج بين الصفا والمروة لأخــرج مــن الحرم فإذا بي أسمع حاجاً روسياً . يقول لشخص بجانبه : هاأنا ذا في الشوط السادس ولكن أين الكعبة أريد رؤيتها!!!.

قصيدة

الزمانُ النجيب

مروان كجك

سيأتي زمـانٌ فـتـيٌ نجـيـــبْ ... بعون الإلهِ السميع المجيبْ
ويخضرُّ عُودِي ، والمكرمــاتُ ... يَلُـــذْنَ بشعبٍ طَهُورٍ نسيبْ
أقامَ الحضارةَ في كل صـقيــعٍ ... وأعطى الهدايةَ كلَّ الدروب
فمنْ ضلَّ ضلَّ عَزوفاً جهـــولاً ... وعاشَ الحياةَ رهينَ الذنوبْ
***
سـيـأتي زمـانٌ رؤوفٌ رحــيمٌ ... وتنهارُ جدرانُ حـقـدٍ رهـيـبْ
وتـأتـي إلينا الطــيورُ الثُّكالى ... يزاوِجْنَ أُنْساً ورَوْضــاً مهـيبْ
ويـنـثُرْنَ في أرضــنـا دندناتٍ ... ويهتِفْنَ:عاشَ النداء الحبيبْ
تـبـاركـتَ يـــا ربّنا فانتشلْنا من الذلِّ واكسِرْ شَبَاةَ الصليبْ
***
سـيـأتـي زمـــانٌ يـنـيرُ الليالي ... ويـنـهـضُ شـعـبٌ زكيٌّ أريبْ
ويملأُ أفـــــقَ الـفـضـاءِ رعودٌ ... ويهـتـزُّ حـبلُ الدعيِّ الكذوبْ
ويـسـقــطُ عن عرشه كلُّ خِبٍّ ... ويصرخ بالكفر صوت رعيبْ :
أنا الـمــوتُ أقـبضُكم لا أبالي ... فـقـد جاء موعـدكم من قريبْ
***
سـيـأتـــي زمـانٌ تُـدَكُ قــلاعٌ ... بـنـاهـا الطغاةُ لصنْعِ الكروبْ
ويشقــى رجالٌ تمادَوْا خداعاً ... وظـنـوا الهدايةَ قتلَ الشعوبْ
فأســـرف هـذا بـوأدِ الـرجالِ ... وأسـرفَ ذاك بكَيْلْ الخطُوبْ
فهاتِ الحديدَ المحمَّى لنمضي ... لـهـذا وذاك ونكوي الجُنوبْ

***

سـيـأتـي زمـانٌ تخـرُّ الليالي على قـدمـيه وتُطوى الرُّبُوب
ويبزغُ فجـرٌ بـديعُ المحـيـَّا ويَفْتَرُ ثغرٌ وطَرْفٌ هَـيـوبْ
ويرجـع للحـيِّ أهلٌ وصحبٌ وأشـواقُ عـمْـرٍ وطفلٌ لَعُوبْ
وتبتلعُ الأرضُ كلَّ الأفـاعـي ويَنْبَتُّ حبلُ الخنا والعُيوبْ

***

سـيـأتـي بحـوْل الإلـهِ زمانٌ تجـوسُ العدالةُ كلَّ الـقـلـوبْ
ويـنكشـفُ الستْرُ عن كلِّ وغدٍ وتُبْـلى الـسـرائـرُ في كُلِّ ذِيبْ
ويـصـحـو نـيامٌ أطالوا الرقود على الرَّضْفِ واستعمرتْهُم كُروبْ
وينهزِمُ الشِّركُ والمـشـركـون ويـأتـي زمانٌ فـتـيٌّ نجـيـبْ

المسلمون في العالم الإسلامي

أحداث (كنر)
ومقتل الشيخ جميل الرحمن

بالغ وألمٍ عميق تلقينا أخبار القـتـال الـمـؤسـف الذي وقع بين فصائل المجاهدين في ولاية (كنر) وما أعقب ذلك من الاغتيال الغادر للـشـيـخ جـمـيـل الـرحمـن -رحمه الله- رحمة واسعة.

كـان حـرصـنـا دائماً أن نكتب عن انتصارات المجاهدين ، وكنا ننتظر أخبار فتح كابل ، ولكن ضريبة التفـرق والتحزب جاءت بأخبار القتال في كنر التي سالت فيها دماء الشباب المسلم من المجاهـدين العرب والأفغان . ولا ندري كيف يبيح المسلم لنفسه قتل مسلم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسـول الله ، كم نـتـمـنى أن يؤب المسلمون هناك إلى الحق ، ويتراجعوا عن هذه الأساليب ويتقوا الله في أنفسهم.

لقـد وقعت أحداث قتل قبل هذا ولكنها ليست بهذا الحجم ، وكنا لا نذكرها حرصاً على سمـعـة الجهاد الأفـغـاني وخوفاً من شماتة الأعداء ، ولكن ما وقع أخيراً هو من الخطورة بمكان ، ولا بد من توضيـح الصورة على حقيقتها ، حرصاً على مصلحة الائتلاف ووحدة المسلمين ، وحرصاً على نـصـيـحـة الـمـسـلمين بالابتعاد عن الوسائل غير الشرعية في حل مشاكلهم.

وسنتكلم في هذه العجالة عن :

1- ولاية كنر والصراع عليها.
2- الأحداث الأخيرة ومقتل الشيخ جميل الرحمن.
3- البيانات الصادرة عن الأحزاب الإسلامية وجو الإشاعات المؤسف.
4- التنبيه إلى خطورة ما يكاد للجهاد الأفغاني من أعدائه الداخليين ومن الخارج.

5- أهمية المنهج وخطورة الاتهامات ونقل الأخبار والدعوة إلى الوحدة والائتلاف.

ولاية كنر والصراع عليها :

تقع ولاية كنر في شمال شرقي أفغانستان شمـال مدينة جلال آباد ، ويجري فيها نهر كنر الذي يجتمع من عدة فروع أهمها وادي بيج حـيـث منـطـقـة الشيخ جميل الرحمن ، وأما شمال الولاية فيكون منطقة (نورستان) التي يسكنها قبائل الـنـورسـتـانـيــة ، وهــؤلاء لهم وضـعـهــم الـخـاص وتنظيمهم الــذي ارتضوه منذ بداية الجهاد ، وقد تركتهم الأحــزاب الأفغانية على أنهم واقع موجود مــع مـسـالـمتهم للجميع : وغالبية أهل كنر ممن تأثروا بالمنهج السلفي وبرز من دعاتها وعلمائها (في كنر) المتبعين لهذا المنهج :

الشيخ جميل الرحمن - جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة
الشيخ محمد أفضل - نورستاني
الشيخ غلام رباني - الجمعية الإسلامية
الشيخ فقير الله - الحزب الإسلامي

كانت كنر من الولايات الأولى التي بدأ فيها الجهــاد منذ عام 1978 في نهاية حكم محمد داود الذي استغله الشيوعيون ثم انقلبوا عليه ، والـشـيـخ جمـيـل الرحمن بدأ الجهاد مع إخـوانه أهل المنطقة منذ ذلك الوقت ، ثم هاجر إلى باكستان وكــان عـضـواً فـي الحــزب الإسلامي ثم انفصل عنه وكون تجمعاً خاصاً أطلق عليه فيما بعد (جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة) ، وقد دمرت قريته (ننجلام) تدميراً كاملاً من جراء قصف الشيوعيين وبقي القسم الأسـفــل من الوادي وفيه العاصمة (أسد آباد) بأيدي الشيوعيين إلى أن انسحبوا منها قبل ثلاث سـنـوات لأسباب غير واضحة ، ربما يكون منها أن ما تحتاج من حماية ودفاع أمام هجمات المجاهدين المستمرة أكبر من أهميتها الإستراتيجية ، وبعد هذا الانسحاب دخلت أحزاب المجاهـدين إلـى الـمدينة وشكلوا مجلساً للشورى لحكم الولاية يرأسه غلام رباني ويرتبط بالحكومة الإسلامية الأفغانية المؤقتة في (بشاور) ولكن جماعة الدعوة بزعامة الشيخ جميل الرحمن رفضت الانضـمــام لهــذا المـجـلـس ورأت أنه مجلس غير صحيح ، وأنها صاحبة الحق في إدارة الولاية . باعتبار أن معظم السكان من أتباعها ثم جرت الانتخابات في الولاية أكثر من مرة ولكن ثــار جــدال فـي نتيجتها مما دعى الجماعة أن تعلن حكمها الفعلي للولاية وسلطتها الكاملة وتسـمـيـة الــولايـة باسم (إمارة كنر الإسلامية) وطلبت من الأحزاب الانضمام والبيعة أو يخرجون ، ولم تحـصـل مــواجهة مع الأحزاب لضعفها ما عدا الحزب الإسلامي الذي لا يرى استقلال الولاية بنفـسـها ، ولذلك حوصر مقر الحزب ثم سمح لأميره فقير الله بالخروج فذهب إلى قريته واعتزل القـتـال الذي حدث بعدئذ.

الأجواء المشحونة وفتنة القتال الأخير:

حـيـن رأى الحزب أن الجماعة سيطرت على الولاية قرر إلغاء هذه السيطرة ، خاصة بعد أن تسـمـمت الأجواء بالإشاعات والاتهامات المتبادلة ، ولا نستبعد أن يكون هناك أطراف ثالثة لها مـصـلحة في إذكاء نار العداوة والبغضاء .

وهي متآمرة عل الجهاد الأفغاني وهذه شنشنة نعرف مــن يقــولهــا ويشـيعها بين المسلمين ، وتهجمت جريدة الحزب الإسلامي (شهادت) على الوهابية وصنفتها بأنها مثل القاديانية وإن كان الحزب قد اعتذر عنها في بيانه الصادر بتاريخ 18/2/1412 هـ حيث قال »وقد نشرت في جريدة (شهادت) معبرة عن رأي كاتبها ولا تمثل الموقف الرسمي للحزب ، ولقد ساءنا ما نشر في الجريدة«.

في هذه الأجواء المسمومة أصدر الحــزب تحذيـره للشـبـاب العرب في كنر بأن يخرجوا من الولاية للبعد عن أجواء الفتنة ، وفعلاً ابتعد بعضهم إيـثـاراً للـبعد عن الفتن والخلافات ، ورأى البعض أنه لا يمكن التخلي عن جماعة الدعوة واشتدت الحــرب الـكــلامـيـة بـيـن الطرفين ، وأصدرت جماعة الدعوة بياناً توضح فيه وجهة نظرها وتجددت مساعي الصلح ولـكـنـهـا فشلت كلها وقام الحزب بأمر خطير ، حيث استقدم مجموعة كبيرة من المقاتلين من خارج الـمـنـطـقـة ، وأمــا أهل المنطقة فالقليل منهم من شارك سواء مع الحزب أو مع الجماعة.

استمر الهجوم عدة أيام ، وقد شارك بعض أفراد الأحزاب الأخرى وليس كلها مع الحزب الإسلامي في هجومه، سواء بصفته الرسمية أو الشخصية ، ويظهر أن الحكومة الباكستانية قدمت دعماً ظاهراً للحزب وكأنها ترى الوقوف بجانب القوي . تمكن الحزب بعد الهجوم على الولاية من السـيـطـرة على المنطـقة المتنازع عليها وقد وصل عدد القتلى والجرحى إلى المئات كما ذكرت بعض المصادر بينهم بضعة عشر عربياً.

أثناء هذه الأحداث تكونت لجنة للـمـصـالحة بتاريخ 18/صفر/1412 بمرافقة الشيخ جميل الرحمن والمهندس حكمتيار من بعض الأخــوة العرب من الذين لهم علاقة طيبة بالطرفين، ومــن أبرزهم الأخ أسـامـة بن لادن ، وقد تقدمت اللجنة بأعمالها حسب ما هو مقرر لها، وكان من المقرر أن تعلن وقف إطلاق النار بين الطرفين صباح يوم الجمعة 20/2/1412.

وكـان مـن قــدر الله أن لا يصل وفد الحزب إلى مكتب الشيخ جميل الرحمن للالتقاء بوفد جماعة الدعــوة ويذهـبـوا إلى كنر لإعلان وقف إطلاق النار ، وذلك لوقوع الحادث الأثيم على الشيخ جميل الرحمن في منزله في منطقة (باجور) وهي منطقة قبليه تقع على الحدود مع أفغانستان.

نبذة عن حياة الشيخ وكيف وقع الاعتداء عليه :

ولد الشيخ جميل الرحمن بن عبد المنان عام 1934 بقرية (ننجلام) بوادي بيج من محافظة (كنر) ، وقد تلق علومه الدينية في أفغانستان وباكستان ، وبعد ذلك بدأ دعوته إلى التمسك بالكتاب والسنة ، وكان من السباقين إلى مقارعة الحكومات الشيوعية وفي عهد محمد داود أمرت الحكومة بالقبض عليه ، وتتابعت الحملات على قريته ففرّ الشيخ إلى الجبال ومعه تلاميذه وأبناء إخوته وبعد ذلك هاجر إلى باكستان وأسس جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة .
وكان له جـهــود طيبة في تأسيس المدارس الإسلامية في أوساط المهاجرين الأفغان والمناطق المحررة.
وبتاريخ 20/2/1412 الموافق 30/8/1991 تمكن القاتل عبد الله الرومي - ليس هذه اسمه الحقـيـقـي - الـمـصـري الجنسـيـة(1) ، من الدخول إلى منزل الشيخ بحجة السلام عليه وملاقاته ، وجلس ينتظر ويقرأ القرآن وبعد أن أنهى الشيخ حديثه مع أحد القادة اقترب هذه المجرم منه ليوهمه أنه يعانقه ثم صوب مسدسه وأطلق رصاصات أصابت وجه الشيخ ورأسه عند منطقة الأذن، فـقـضـى نحـبـه فــوراً -رحمه الله- وحاول القاتل الفرار ولكن الحرس انهالوا عليه بالرصاص فأردوه قتيلاً ، وقد أصدرت جماعة الدعوة بياناً تذكر فيه حادثة القتل نقتطف منه هذه الفقرة :
»ولئن ظن أعداء الدين أنهم بقتلهم للشيخ جمـيـل الرحمن فإنهم سيقضون على الدعوة التي آمن بها ودعا إليها فقد خاب ظنهم ، وإن الله يقـيـض لهذا الدين من يحمله ويدافع عنه ويقدم له نفسه وماله ، والحمد لله الذي لم يعلق دينه على الرجال ولم يتعبدنا بتعظيمهم ولا تقديمهم على الحق ، ولسنا - بفضل الله تعالى - ممن يطــري ويغلو في قادتهم ، فإن الشيخ أفضى إلى ما قدم - لا نقول أنه من الشهداء ، ولا في الجنان العلى ، بل ندعو الله عز وجل أن يكون من الشهداء ، ويعفو عنه ويغفر له ويدخله فسيح جناته«.

مَنْ وراء هذه الجريمة :

لم يتهم الشيخ سميع الله نائب الشيخ جميل الرحمن والذي اختير أميراً للجماعة بعده ، لم يتهم أحداً ودعا للتريث وانتظار نتائج التحقيق كما أن الحزب الإسلامي تبرأ من القتل وأدانه في بيان له بتاريخ 30/8/1991 ، ولم يعرف عن القاتل عبد الله الرومي انتماء معين ، وقد كان يسأل كثيراً عن لجنة الإصلاح ، كتب إليهم يستحثهم على الإسـراع فـي إنهاء المشكلة ، ويظهر أن قلبه امتلأ حقداً وبغضاً للشيخ ، وساعد على ذلك الأجواء المسـمـومـة التي أحاطت بالقتال في كنر ولا يستبعد أن تظهر الأيام القادمة أنه كان مدفوعاً بشكل غير مباشر ، من جهات تكره أهل السنة وتخطط دائماً لاغتيال علمائهم ، وربما تكون هي وراء مقتل الشيخ عبد الله عزام -رحمه الله-.

وقفات مع الأحداث :

1- لا شك أن أجواء الاتهامات المتبادلة كان لها تأثير كبير في شحن النفوس وجعل جهلة المسلمين يقدمون على قتل إخوانهم دون أن يرفّ لهم جفن ، ووصلت هذه الأجواء إلى حد تصريح حكمتيار بأن العرب الذين مع جميل الرحمن يرون أن قتال الأفغان مقدم على قتال الشيـوعـيـيـن (2) وأصدر الحزب في صحيفة (شهادت) مقالات يتهم فيها مــا يـدعـونــه (الوهابية) بأنـهــا صنيعة الإنكليز!! ثم تبرأوا من ذلك كما ذكرنا ، وقد يوجد من الطرف الآخر الشباب المندفع الذي يتفوه بكلمات لا يدري مواقعها ، ولا يستعمل الحكمة في دعوة الناس ، ولكن تبـعة القتال الأخير تبق على الحزب الإسلامي الذي استقدم جهال القبائل للإغارة على إخوانه، وكان الواجب استعمال الطرق السلمية الشرعية ولو طالت.

2- إن أحداث كنر وغيرها من أحداث العالم الإسلامي تؤكد على أهمية المنهج في حياتنا وأن الابتعاد عن هــذا بالـطـرق الـمـلـتوية التي يسمونها (سياسة) لا يوصلنا إلا إلى التفرق والضعف ، وإن تقريب المبتدعة والمنحرفـيـن والـمـشـبـوهين وإعطاءهم من لين الكلام وأننا نجاهد معهم في خندق واحد ، كل هذا لم ينفع شيئاً . ونذكــر القــراء بما كتبناه في العدد الأول من البيان حول أهمية وضوح المنهج في حياة المسلمين.

3- لا زلنا نحذر مــن الـمكايد التي تحاك ضد الجهاد الأفغاني سواء كانت مكايد داخلية من أصحاب الفرق المنحرفــة الـضـالة ؛ أو مكايد خارجية من الدول التي لا تريد أن تعلو كلمة لا إله إلا الله . وتاريخنا الإســلامي في القديم والحديث يشهد على خطورة مثل هذه الاتجاهات ، وعدم تورعها في ضرب أهل السنة في أحلك الظروف.

4- إننا ندعو الإخوة الأفغان بعد هــذا الحادث الأليم أن يتفكروا في أسباب النصر ، وأنه بيد الله يعطيه من يشاء من عباده الذين تتمحض صفوفهم للحق ، وتتوحد وجهتهم ، وأن دولة الإسلام لا تقام على أشلاء القـتـلـى والجـرحى بـيـن الـمسلمين أنفسهم ولا باستغلال القبلية التي تزيد التفرق والتشرذم ، ومن طبيعة الجهاد في سبيل الله أنه يوحد الصفوف.

وبعد:

إننا ونحن نكتب هذه المقالة عن الأحداث المؤلمة التي جرت في كنر تطالعنا الأخبار باتفاق أمريكا وروسيا على تصفية القضية الأفغانية أي تصفية الجـهـاد الأفـغـاني عـمـومـاً وفرض الحل الدولي من خلال إجراءات تتفق عليها أمريكا وروسيا مع دول المنطقة ذات الـعــلاقة بالقـضـيـة الأفـغـانـيـة ، ولذا فنحن نحذر أصحاب القضية الأفغانية ومن يتعامل معها أن يعينوا هذه التوجهات الـدولـيـة تجاه القـضـيـة الأفـغـانـيـة من خلال هذا القتال والتنازع والاختلاف وهي أحد الوسائل التي يراهن عليها أعداء الجهاد الأفغاني لتصفيته ولا نكون كالتي نقضت غزلها من بعد قوة.

نسأل الله أن يعلي كلمته وينصر راية السنة ويوحد كلمة المسلمين على الحق.

الهوامش :

1- كان يعمل مراسلاً لمجلة الجهاد ومجلة البنيان المرصوص التابعة للاتحاد الإسلامي واسمه الحقيقي أشرف أنور على النيلي والغريب أنه قد صدر بيان من مكتب سمى نفسه مكتب التحقيقات - إسلام آباد يحاول فيه تبرئة عبد الله الرومي من جريمة القتل.

2- من مقابلة بين أحد المجاهدين مع المهندس حكمتيار.

مقابلة

لقاء مع الشيخ سميع الله

حرصاً من البيان على وحدة الصف الإسلامـي وذكــر الحقائق من أصحابها مباشرة ، قام مندوبنا لدى الجهاد الأفغاني بطرح أسئلة على الشـيـخ سميع الله أمير جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة فأجاب مشكوراً :

س :كيف حصل مقتل الشيخ جميل الرحمن (رحمه الله) ومن كان وراء ذلك؟

ج : إن هناك بياناً صادراً عن الجماعة حول مقتل الشيخ بعنوان "البيان الرسمي والوحيد حول مقتل الشيخ"... يمكنكم نشره.

س : متى أسست جماعة الدعوة بعد الهجرة بشكلها الحالي؟

ج : إذا كان يفهم أن لنا جماعة بمفهوم حزبي يفرق المسلمين ويجعلهم أحزاباً ، فليس لنا بهذا الاعتبار أية جماعة ، أو أي تنظيم ، لأن الحزبية والتحزب من أبطل الباطل في دين الله ... وقد دل الكتاب والسنة وإجماع المسلمين على ذلك . ومــا نـعـانـيـه الآن على أرض أفغانستان من الاقتتال ، وتأخير النصر ، ما هو إلا ثمرة مشئومة لهذا التـفــرق اللعين.

ولذلك ليس عندنا في جماعتنا أي مظهر من مظاهر التحزب لغير كتاب الله وسـنــة رسوله وفهم سلفنا الصالح ، وإنما المقصود بجماعة الدعوة ... جماعة تجمعت على الدعــوة إلـى التوحيد، ونصرة سلفنا الصالح، ولذلك لسنا من الحزبية في شيء ، فليس عندنا انتسابات حزبية ، ولا فصل عن الجـمـاعة ولا سرية في التنظيم ، ولا تقوقع ... ولا تقليد لأشخاص ، ولا تفريق عندنا بين المسلمين بغـيـر العقـيـدة والـمنهاج ولا غير ذلك من مظاهر الحزبية المحرمة ، ولذلك من كان من عقيدتنا وعلى منهاجـنـا ، فهـو منا ونحن منه ، سواء كان قريباً أو بعيداً ... مطيعاً أو مخاصماً.

وجماعتنا اجتمعت على عقيدة السلف ومنهاجهم ... وهي إذن بهذا الاعتبار امتداد لأهل السنة والجماعة .. أهل الحديث ... وهم في أفغانستان قبل تلك الأحــزاب جميعها وقبل ولادة قادتها.

س : ما هي المناطق التي فيها نشاطات لجماعة الدعوة؟

ج : نـشـاطـاتـنـا فـي كــل بقعة نصل إليها ... وفي كل مجلس نغشاه ، فنحن لا ندعو إلى جماعتنا ، ولا ندعو إلى حــزب مـعـين ولا إلى قائد ... وإنما ندعو إلى الكتاب والسنة على فهم سلفنا الصالح.

س : ما هو تصوركم عن شكل الدولة الإسلامية التي سقام بعد سقوط حكومة نجيب الله إن شاء الله تعالى؟

ليس لنا تصور عن شكل الدولة الإسلامـيـة!! ولا يجوز لنا ولا لغيرنا أن يتصور شكلاً غير شكل ما كان عليه رسول الله -صلى الله عـلـيه وسلم- وأصحابه .

والواجب على المسلمين في أفغانستان إقامة دولتهم منذ أن حرروا أول شبر من أراضيها ، ولا يجوز لهم تأخير هذا الواجب الذي شرع الجهاد من أجله حتى سقوط كابل أو سقوط نجيب.

فالمسلمون عندما فتحوا دمشق أقاموا فيها إمــارة ، ولم ينتظروا حتى فتح الشام جميعها ، أو حتى يسقط هرقل...

إن عدم قيامنا بهذا الواجب ما هو إلا لبعدنا عـن منهـج سلفنا وبسبب اتباعنا سنة غيرنا من الكفرة الملحدين الذين يؤمنون بالحدود والعواصم وهيئة الأمم وغيرها!.

إن إقامة دين الإسلام ... دين الله .. ليس مرهوناً بموت أحد ... ولا بفتح بلد!!

إن بعض الأساليب التي ينادي بها بعض الأحزاب الإسـلامـيـة لإقامة الدولة الإسلامية ، عن طريق الانتخابات البرلمانية ، أو التحالفات الدولية ... إنـمــا هي أشـكــال من أشكال الطاغوت والجاهلية ، وإنما أتوا من جهلهم بهذا الإسلام العظيم..

((فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ))

((أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ومَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ))

جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة

البيان الرسمي والوحيد الصادر عن الجماعة حول اغتيال الشيخ جميل الرحمن -رحمه الله-:

((ومَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إلاَّ بِإذْنِ اللَّهِ))

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله...

أما بعد

فبقلوب مطمئنة، ونفوس مسلمة لأمر الله، وقضائه، تلقت جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة ومن وراءها من إخوانهم العرب والعجم نبأ اغتيال أمـيـرهــا جميل الرحمن -رحمه الله- وأجزل له المثوبة.
فـقـبــل ظهيرة يوم الجمعة 20/2/1412 هـ وقفت سيارة بجوار مجمع الدعوة في "باجور" ونزل مـنهـا عربي حنطي السحنة ، وبقي فيها أفغانيان ... ولما كانت جماعة الدعوة أكثر الجماعات ارتـبـاطـاً بالأحبة الأنصار العرب ، وأشدها مودة كان الشيخ -رحمه الله- قد أصدر أمراً بعدم تفـتـيـش الـعـرب الـذين يطلبون مقابلته ... وذلك احتراماً لهم ، وتقديراً لجهودهم ، ولبعد الشبهة عنهم.
وتقدم هذا العربي من الشيخ موهماً معانقـتـه ، فــإذا به يطلق عدة طلقات من مسدس على رأس الشيخ -رحمه الله- تعالى ليرديه قتيلاً ، ثم ولـى هـارباً باتجاه السيارة المنتظرة عند الباب .. فتبعه أحد الحراس فأطلق القاتل عليه طلقة أصابته فـي بطـنــه.. ثم تتابع عليه الحرس فأمطروه وابلاً من الرصاص أرداه قتيلاً.
فلما سمعت السيارة إطلاق النار الغزير ... لاذت بالفرار.
ثم بعد تبين هوية القاتل تبين أنه :
كــان يتسمى بعدة أسماء ، من أشهرها »عبد الله الرومي« واسمه الحقيقي »أشرف بن أنور بن محـمـد الـنـيلي« . وأنه كان من العاملين في أحد الأحزاب الإسلامية الأفغانية العاملة على الساحة . ولــه مقـالات في بعض مجلات الجهاد . وكان موغر الصدر مشحون القلب على أصحاب دعوة التوحيد . شديد الحقد عليهم ، سليط اللسان..
وإن ما أشيع من أنــه كان مضطرب النفس .. وأنه قتل نفسه وأننا برأنا إحدى الجهات ، وغير ذلك من الإشـاعــات الـكـاذبــة إنما هي أخبار مفرطة عارية من الصحة .. أريد بها تمييع القضية ومن وراءها.
وأن لدى جماعة الدعوة من الأدلة الشــرعية ما يبطل دعاوى المتخرصين وبعضها بخط يد القاتل، ولا يزال التحقيق جارياً إلى سـاعـة كتابة هذا البيان وسنبين ذلك إن شاء الله عند اكتماله.
وجماعة الدعوة وإن لم توجه الاتهام الرسـمــي حـتـى الآن إلـى أحــد ... فإنها تؤمن أن الجريمة لم تكن فردية .. وأنها دبرت بليل .. وأن هذه اليد الآثمة كــان وراءها من وراءها من الذين يكرهون الدعوة السلفية ويكيدون لها وقد ساهم في قتله كل من تعرض للتوحيد .. أو للجماعة ، أو للشيخ .. باتهام أو إنذار أو شتم سواء كان ذلك بمقال أو خطبة أو كلام وسواء كانوا من العرب أو العجم حتى أوغروا صدره ودفعوه إلى هذه الجريمة المنكرة ، وأن على هؤلاء وزر هذا الحادث الأليم . ولقد خاب ظن من ظن ، أن بدفـعـهـم

عـربـيـاً لقـتـل الشـيـخ لإبعاد الشبهة عنهم .. وللإيقاع بيننا وبين أحبابنا العرب . كيف والعرب أحبابنا وأنصارنا بالمال والأنفس.
ولولا الله ثم إخـوانـنـا الـعـرب لما قامت كثير من المنظمات الجهادية ولذا فنحن نبرئ كل العرب الشرفاء الذين وقفوا مـعـنـا ، وأيدوا دعوتنا ... ونعلنها صريحة .. أننا لا نستغني عنهم بعد الله ، وأن هذه الحملة مــن أعــداء الجهاد المبارك ضد إخواننا العرب ، فإنما نحمل مسئوليتها من دفع هذا العربي الجاهــل إلــى هذا الفعل الآثم ويخطئ من يظن أن دعوة الرجوع إلى الكتاب والسنة على فهم سلفنا الصالح دعوة تتعلق بالرجال أو الأرض أو الديار ، إنهم يظنون دعوتنا - دعوة الأنبياء - مثل أحزابهم المبتدعة المتعلقة بالأشخاص ..إذا ماتوا ماتت..
وما جميل الرحمن - عندنا - إلا رجل داعية ، قــد خلت الدعاة من قبله ، فإن مات أو قتل استبدلناه برجل آخر .. وحفظ دعوتنا من حقنا على ربنا...
((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ))
ولذلك فإن أولياء الشيخ جميل الرحمن -رحمه الله تعالـى- وجمـاعـة الدعوة لا يسمحون للناس جميعاً ، بنشر صور الشيخ ولا بوصفه بالشهيد ، فالله أعلم بمـن يكـلـم فـي سبيله ، ولكننا ندعو الله له بالرحمة والشهادة وأن يتقبل عمله ، ويجعله في جنان فردوسه . وسوف يتحمل المخالفون لهذا مسئوليتهم القضائية.
واتباعاً لسنة سلفنا الصالح ... فقد تم اختيار الشيخ "سميع الله" أميراً للجماعة قـبـل دفن الشيخ -رحمه الله تعالى-.
وجماعــة الـدعوة إذ تعلن هذا ، تعلن أن هذا هو البيان الوحيد الرسمي الذي صدر عنها بخصوص اغتيال الشيخ -رحمه الله تعالى-.
وختاماً فإننا نتوجه بالشكر والدعاء لكل من واسانا في مصيبتنا ، وندعو الله تعالى أن يتغمد فقيدنا برحمـتـه ، ويسكنه فسيح جنانه ، وأن يعلي كلمته ، ويرفع راية التوحيد ، راية سلفنا الصالح ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أمير جماعة الدعوة سميع الله

محاولة اختطاف الكوماندوس الإسرائيلي الصراع الحضاري في كشمير

أحمد موفق زيدان

بعد المحاولة الفاشـلـة الـتـي قـامت بها حركة حراس الثورة الإسلامية في اختطاف سبعة كوماندوس إسرائيليين ، من بينهم امرأة يهودية ، قدموا

لمساعدة الجيش الهندي في ضرب الانتفاضة التي بدأت في أغـسطس 1988 بعد هذا كله يكون الصراع الكشميري قد وضحت معالمه أكثر وأكثر لمن كان في قـلـبـه شـك من أن الصراع حضاري وليس مرتبطاً بقطعة أرض ولا تحده حدود ، وعلى الرغم من إعلان الهـنـد بـأن المختطفين سوّاح وليسوا عسكريين ؛ إلا أن التقارير والظروف تُكذِّب هذا الادعاء ، فمـنـذ أشـهـر طـويـلة أعلنت الهند عن منع وصول السوّاح الأجانب إلى كشمير ، وطلبت الدول الغربية من رعـايـاهـا مـغـادرة الأماكن المضطربة في كشمير والبنجاب الهندية والتاميل ونحوها ، إضافة إلى أن مصادر المحـلـلين العسكريين في لندن أكدت أن الكوماندوس تدربوا لخمسة أشهر في فلسطين المحتلة ، ثـم توجهـوا إلـى نـيـبـال والهـنـد ، وتقـول هذه المصادر أن الكوماندوس أرادوا وضع ألغام ومتفجرات على بعد 60 ميل عن المفاعل الـنـووي الـبـاكستاني في كاهوتا قرب إسلام آباد لتفجيره عن طريق الرادار أو التفجير من بعد.

العامل اليهودي : لم يكن وجود اليهود في كشمير شـيـئـاً جـديداً خاصة للمتابعين ، فقد نشرت البيان في أحد أعدادها مقالاً بعنوان (تعاون هندي إسرائـيـلي لقـمـع الانتفاضــة في كشمير) وكشفت وكالة الأنباء الباكستانية مؤخراً أن وجود العامل اليهودي قديم من حيث التعاون المعلوماتي أو الإرهاب والتدرب . وقد أكدت مصادر المجاهدين في كشمير وجــود أكثر من 350 كوماندوس يهودي يتعاونون مع الهند لضرب الانتفاضة الكشميرية ، وتطمح إسرائيل من وجودها في هذه المنطقة الهامة إلى ضرب المفاعل النووي الباكستاني الذي تعد المحطة النووية الوحيدة في العالم الإسلامي بعد ما حدث في العراق . والمفاعل الباكستاني هدف يهودي قديم وتقول المصادر الباكستانية بأنه غدا هدفاً رسمياً يهودياً منذ عام 1986 عـنـدما صرح رئيس هيئة أركان العدو اليهودي الجنرال (رافائيل يتان) بأن لابد من تدمير الـمـفاعل وأن أي مصدر يهدد أمن الدولة اليهودية لابد من تدميره ، مما يؤكد أن الصراع ليس عربياً - إسرائيلياً وإنما إسلامياً يهودياً . وفي كتابه "الخدعة" قال عميل موساد سابق : (إن الإسـرائـيليين يملكون كل المعلومات المتعلقة بالمفاعل النووي الباكستاني والتي قدمها لهم (جوناثان بولارد) الجـاســوس الإســرائـيـلي الذي قبض عليه الأمريكان وهو يتجسس لصالح اليهود في نوفمبر 1985 وتحدثت فيها مـعظــم الـصـحـف الأمـريـكـيـة عن تسريب (بولارد) معلومات عن المفاعل النووي الباكستاني لإسرائيل.

وقد صرح مؤخراً (تشودري شجاعت حسين) وزير الداخلية الباكستاني الفدرالي بأن عملاء الـموساد تسربوا إلى باكستان لضرب المفاعل ، إضافة إلى البيان الرسمي الصادر مؤخراً عن المجلــس الوزاري الباكستاني الذي

أكد قيام عملاء الموساد والهنود بإثارة الاضطرابات في البلاد لزعزعة استقرار البلاد.
وأيام الرئيس الباكستاني السابق (ضياء الحق) ذاعت شائعات بأن طائرات يهودية تزودت بالوقود مــن دلهي لضرب المفاعل الباكستاني ، وعقب (ضياء الحق) على هذا بقوله : إنه لو حصل هذا فسيعتبر هذا اعتداء على باكستان ويؤدي إلى حرب كبيرة وشاملة.
وفي تطور ذي علاقة بهذا الأمر وصل مبعوث رئيس الوزراء الإسرائيلي (إسحاق شامير) إلى الهند ، وهذه أول زيارة علنية لمسؤول يهودي للهند منذ قيام الكيان اليهودي . ومما يذكر أن وجود اليهــود فـي كشمير أو غيرها كما حصل في مساعدتهم للحكومة السريلانكية عام 1983 ضد المتمردين الـتـامـيـل إنـمــا يهدف إلى الاقتراب من الحدود الباكستانية ودراسة إمكانية ضرب المفاعل.
أتواصوا به!! اتـبـعـت الهـند استراتيجية قريبة من استراتيجية اليهود والروس ومحاكم التفتيش في الأندلس في التعامـل مـع الـمـسـلـمـين ، وأرسلت القيادة الهندية خبراء كباراً لإسبانيا لدراسة السياسة التي اتبعها حكامها الـسـابقون ضد المسلمين أيام محاكم التفتيش ، ووصل إلى هناك السياسي الهندي المتمرس (د. بي. دهـر) وأعــد تقــريراً مطولاً ومفصلاً بهذا الشأن ، وتوجه بعدها إلى الاتحاد السوفياتي ليعين سفيراً لبلاده هناك ، ودرس أيضاً الأساليب الروسية (القياصرة والبلاشفة) في مقاومة المسلمين ، وبعد هـــذا خـرجـت الهـنـد بضــرورة مـحـاربـة التعليم الإسلامي ، وطمس هوية كشمير المسلمة ونشر التعليم العلماني وتشجيع الحركات العلمانية على حساب الحركات الإسلامية خاصة بعد ظهور الحركات الجهادية التي يتردد بـأن لـلـجـهـاد الأفـغـاني دوراً فـيها ، مما يؤكد على عمق التواصل التاريخي الحضاري.
ويقول الدكتور أليف الدين الترابي نائب أمير الجماعة الإسلامية لـ (البيان) : »لقد أدركنا هذا منذ فترة طويلة فركزنا على التعليم وبناء مؤسسات تـعـلـيـمـيــة مــوازيــة لـلـمـؤسسات الحكومـيــة التي كانت تنتهج المنهج العلماني ، ويطغى فيها تمجيد معبودات الهـنــدوس على حساب ديننا .
ويضيف فيقول : »لقد تخرجت من هذه المدارس ولا أعرف الفرق بين معبودات الهندوس وبين الله تبارك وتعالى ، حتى وصل عدد المدارس والكليات التعليمية الإسلامية إلـى 1200 مـدرسـة ابتدائية وثانوية وكلية وقررت الهند فيما بعد إغراق البلاد بالفساد والفاحشة والإباحية وفـصـل الجـيـل الـحـاضــر عن ماضيه ، وتشجيع الزواج من الهندوسيات ، ولهذا كان لابد من التمايز وإشعار الشعب الكشميري بهويته«.

والحركة الإسلامية بتعدد تنظيماتها أدركت خطورة هــذا الـوضــع فـهاجمـت فـي البداية مـحـلات الخـمـور والفيديو والسينما ونحوها قطعاً للطريق على إفساد الشعب الكشميـري، ويقــول الـدكـتـور الـتـرابي فـي تقريره عن الوضع : »لقد قامت الحركة الجهادية بحرب حضارية على الحضارة الهندوسـيـة عـنـدمــا أغلقت وحطمت دور السينما وبيوت الدعارة ومـركــز الخمور والملاهي حيث أغلقت جميعها في ديسمبر 1989 وبـخـصـوص تـشـجـيـع الحركــات الـعـلـمـانـية خاصة حركة تحرير كشمير المحتلة بقيادة (أمان الله خان) فهي يسارية علمانية والبعـض يتـهـمها بالعمالة ، فقد ذكرت صحيفة هندوستان تايمز الهندية يوم 1/9/1990 بأن عدداً من أعـضــاء حـركــة تحرير كشمير انضموا لأحزاب المجاهدين وذلك لفقدان المعنويات وعدم توفر الأسلحة في صفوف الحركة مما يدل على تخلى الشبان عن الإيديولوجيات غير الإسلامية التي أثبتت عـقـمـهـا طــوال هذا الصراع المرير منذ عام 1947 والذي لم يكن عبثاً أن يتزامن مع قرار تقسيم فلسطين، وكــان أمــان الله نفـسـه قد صرح فـي مقابلة صحفية مع مجلة "الهيرالد" الباكستانية الصادرة في شهر فبراير (شباط) 1990 بأن الحل العسكري غير ممكن ولابد أن يسود الحل السياسي.

أما الاعتـقـالات فـتـتركز على الأحزاب الجهادية خاصة حزب المجاهدين صاحب القوة العسكرية في المنطقة . أمــا مجلة (اندياتودي) الصادرة في 30 سبتمبر(أيلول) 1990 فقالت بأن المخابرات الهندية (RAW) ستقـيـم علاقات مع الانفصاليين من حركة تحرير كشمير الحرة بزعامة أمان الله خان خاصة مع نائبه المعين حديثاً حامد شكيل.

النظرة الهندية : الاستراتيجية التي تسلكها الهند حالياً في المنطقة بشكل عام ، وكشمير بشكل خاص ، ليست وليدة الآن ، وإنما اسـتـراتـيـجـية وسياسة أملتها النظرة الحضارية الهندوسية الحاقدة على العالم الإسلامي بشكل عام . وتود الهند لعب دور هام وخطير في هذه المنطقة التي تضم مئات الملايين من المسلمين.

يقول الدكتور (إيس آزباتيل) وهو خبير سياسي هندي كبير في الخارجية الهندية في كتابه "السياسة الهندية الخارجية" »يسود فراغ سياسي هائل فـي الـمنطقة بعد مغادرة الإنكليز ، ويجب ملء هذا الفراغ ، ومن الضروري للهند كونها قوة بحرية عظمى أن يتحول المحيط الهندي من سنغافورة إلى السويس إلى بحيرة هندية«.

ويعلق أحد الاستراتيجيين الهنود على تنامي قوة بلاده فيقول: »إن البناء العسكري الهندي سيقنع العالم بمنح الهند الحق في الدبلوماسية الدولية« ويبدو أن الاسـتـراتـيجية الأمريكية تريد للهند لعب مثل هذا الدور ، ولكن لمدى معين ، حيث صرح قسم الدفــاع الأمريكي في 8/4/1989 إنه يعمل على

تطوير العلاقات العسكرية بين بلاده والهند لأن الأخيـرة تلـعب دوراً مهـمـاً فـي أمن واستقرار المنطقة ، وإنها دولة ديمقراطية عالمية وقائدة في منظمة دول عدم الانحياز ولـذلك لم تظهر الولايات المتحدة أي تبرم أو امتعاض حيال أربعة تدخلات هندية في دول الـمنطقة وهي تدخلها عام 1986 بعملية (براستاكس) وفي 1987 بسيريلانكا ، و 1988 في مالديف وفي 1989 حاولت أن تتنَّمر على نيبال التي تعتبرها (مملكة هندية) وقد علّق رئيس دول مـنـظـمــة الـكـومنولث على تدخل الهند في سريلانكا بقوله : »تدخل راجيف في سريلانكا سلام تاريخي« وأشادت مارغاريت تاتشر بالسرعة والأداء الذي قدمته القوات الهندية في إفشال انقلاب مـالـديف عام 1988 وتأكيداً لمسألة الدور المحدود الذي تريده أمريكا للهند وذلك ضمن دائرة نـفـوذهــا فقد صرح قائد القوات الجوية في البحرية الأمريكية الأدميرال (وليوم بندلي) »نحن نفهم أن للهند دوراً في المنطقة ولكن حتى الآن لم تظهر سبباً معقولاً لتنامي قوتها البحرية« ولكن لـعـل تـصـريح الـدكـتور (باتيل) الهندوكي المتعصب يجيب على تساؤل "بندلي" عندما قال في كتابه المؤثرات الجـغـرافـيـة »إن مصالح الهند تقوم في المناطق القريبة مثل نيبال وباكستان وبنغلاديش وأفغانستان وبـورمـا وماليزيا وإندونيسيا وسيريلانكا ، وهي بلاد ضرورية لسلامة الهند ، ولذا فمن الضـروري جـداً أن تسيطر الهند على خط سنغافورة قناة السويس لأنها بمثابة الباب الرئيسي للهند« ثم يضيف فيقول : »إن حاجة الهند إلى البترول يلح عليها بالالتفات نحو الجزيرة العربية والعراق ، وإن الهند قــوة بحرية عظيمة ومن الواجب أن يتحول المحيط الهندي من سنغافورة إلـى السويس ليصبح خليجاً تملكه الهند«.

ولمن يحسن الظن بالهند والهندوس حتى الآن ننقل له القول المأثور عندهم في كتاب الأب الروحي للهندوس وهو (جو تليه) الذي كان (نهرو) لا ينام إلا ويضعه تحت وسادته يقول المثل : »إذا أردت قـتـل عدوك فأظهر له العلاقة ، وإذا عزمت على قتله فعانقه ثم اقتله ، وحينها اذرف عليه الدموع!«.

باكستان
أقلية ساهرة وأكثرية نائمة

منذ تأسيس باكستان وظهورها كدولة مستـقـلة في أغسطس (آب) من عام 1947 والباطنيون من الإسماعيلية وغيرهم يتحكمون في قيادتها السياسية والاقتصادية وغير ذلك ، ورغم فرح العديد من المسلمين بظهور هذه الدولة إلا أن القـلـيـل مـنهم مــن أدرك هـذا الخطر ، ومن أدركه خشي أن يجهر به ، على الرغم من أن النسبة السكانية الشيعية فـي باكـسـتـان لا تتجاوز 5% إلا أن العبرة ليست في التعداد السكاني وإنما بالنفوذ والقوة والسطوة . وبنظرة

سريعة على بعض البلدان الأخرى يتأكد لدينا هذا حيث أن النسبة السكانية الضئيلة هي التي تتحكم برقاب الأغلبية..
لـقـد نـفـذ الشيعة إلى العديد من المركز الحساسة بدءاً بالوزارات الفاعلة والحيوية ، مروراً بمركز الـدراسـات والـتـخـطيط والإعلام والجامعات والأحزاب السياسية ، وتزويج بناتهم لقيادات الأحزاب العلمانية التي لها أصول سنية وانتهاءً بالنفوذ الاقتصادي والتجاري.
وفي هذا التحقيق المطول شـيـئـاً مــا ستحاول (البيان) إيضاح الحقيقة ووضعها أمام القارئ وإلقاء الضوء على هذه المشكلة.
المؤسس والقيادة : أكد عدد من الكتاب والمؤرخين بأن أصل (محمد علي جناح) والذي ركب موجة الاستقلال وأصبح زعـيـم ومـؤسـس باكـسـتـان رغـم عـدم اتقانه اللغة القومية (الأوردو) أكد هؤلاء المؤرخون أنه إسماعيلي باطني ، ولكن بعد وصــولــه إلى باكستان قبل الاستقلال بسنوات قليلة تحول إلى المذهب الشيعي ، ومنذ تلك الفترة و(محمد علي جناح) أو من يسميه الباكستانيون السذج بـ (قائدي أعظم) يقوي ويعزز من وجــود الإسمــاعـيـلية والـشـيـعـة في مركز الدولة ، فمعظم الذين جاؤوا بعده من زعماء وقادة هم من الشيعة مثل (لياقت علي خان) الذي اغتيل في روالبندي قرب إسلام آباد ، والذي يدعوه الباكستانيون بـ (قائد الأمــة) ، كما تسلم زعامة باكستان أيضاً (يحيى خان) وهو شيعي أيضاً وهو الذي عين وزير خــارجـيـتـه (ذو الفقار علي بوتو) حيث حصل في زمنهم تقسيم باكستان ونشوء دولة بنغلاديش وبتواطــؤ مجـيـب الـرحـمـن زعيم بنغلاديش الشيعي أيضاً ، وذلك عندما رفض (ذو الفقار علي بوتو) قبول نتيجة الانـتـخـابـات التي ظهرت بأنها في صالح مجيب الرحمن وقال قولته الشهيرة آنذاك (لن أقبل أن يقودني البنغال) وفي المفارقات أو الموافقات أن تقود ابنته بي نظير بوتو نفس الحملة في الانتخابـات الـبـاكـستانية لعام 1988 عندما قالت (لن أقبل أن يحكمني البنجابيون) لأن أصلها من السند في كراتشي.
وبنظرة متفحصة لتاريخ باكستان نرى أن القيادات السنية التي مــرت عـلـيـها ثلاثة فقط، عـلـى الـرغــم أنهـا تعد من أكبر الدول السنية في العالم الإسلامي ، وهذه القيادات هي : الجنرال أيوب خــان ، وضياء الحق ، ونواز شريف ، ولكن مع هذا استمر النفوذ الشيعي في الوزارات والأماكن الحساسة حيث إن تغيير الرئيس أو رئيس الوزراء أو حتى الوزير لا يعني تصفية الأنظـمـة الـبائــدة لأن الوزير يأتي ويذهب ، ولكن القوة والفعالية للأشخاص الذين تحت الوزير والمسؤولين الكبار.

النفوذ الشيعي في الأحزاب السياسية :

للشيعة عدة أحزاب سياسية مـنهــا حزب تنظيم تطبيق الفقه الجعفري بزعامة ساجد علي نقوي ، وجناح آخر انشق عن الأول قبل سنوات بزعامة

حسين الموسوي ، وتنظيم آخر هو حزب الله وسكرتيره العام اقتدار على مظهر، وميليشيات عسكرية صغيرة يربو عددها حسب مصادر مطلعة على عشرات الميليشيات العسكرية . وثمة تنظيم آخر أيضاً باسم الجهاد ويقوده (آغا مرتضي بويا) وشغل منصب السكرتير الإعلامي للتحالف الجمهوري الإسلامي ، ويشغل منصب رئيس مجلس إدارة صحيفة (المسلم) الباكستانية الشيعية القوية وحزب آخر يقوده (فخر إمام) وكان رئيس مجموعة المعارضة البرلمانية في أيام ضياء الحق ، وأما بالنسبة للأحزاب السياسية الأخرى فنفوذهم قوي فمثلاً أصغر خان رئيس حزب الاستقلال متزوج من سيدة شيعية ولذلك انضم في تحالف ديمقراطي مع حزب الشعب بزعامة بي نظير بوتو والحزب الشيعي جماعة (نقوي) ، أما زوجة محمد خان جونيجو أحد أعمدة حزب الرابطة الإسلامية فشيعية أيضاً.

وبالنسبة لحزب الشعب الباكستاني والذي تتزعمه (نصرت) زوجة (ذو الفقار علي بوتو) وابنتها بي نظير فالمعروف عنهم بأنهم شيعة ، وكان ذو الفقار عاملاً سابقاً بإيران ثم نزح إلى باكستان وتدرج في الحياة السياسية حتى غدا رئيساً للوزراء ، وقد أخذت بي نظير (السيف) شعارها الانتخابي في إشارة لسيف علي حيث كتب تحت السيف (لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار) ولكن قرار المحكمة برفض شعار السيف جعلها تتخذ شعار السهم ، وعلق بعض السياسيين آنذاك بأن والدها (ذو الفقار) عندما اتخذ شعار السيف انفصلت باكستان إلى قسمين ، وباتخاذ بي نظير شعار (السهم) سينطلق إلى المفاعل النووي في (كاهوتا) قرب إسلام أباد وسيقضي عليه خاصة وأنه في تلك الفترة كانت بي نظير قد أبدت استعدادها لفتح المنشآت للتفتيش . وصرحت بي نظير قبل انتخابات 1988 والتي أوصلتها للسلطة بأنها ستقتلع جذور اليزيدية في أفغانستان ، والمقصود بهم أهل السنة . كما أكدت في خطبها الانتخابية على أن مهمتها هي امتداد لخط الإمام زين العابدين وذلك في إشارة لاستقطاب الشيعة إلى صفوفها خاصة وأنها ترشحت من "جنرال" المنطقة الموبوءة بالإسماعيلية.

ووزعت الأحزاب الشيعية الدينية منشورات سرية لأتباعهم تحثهم فيها على انتخاب بي نظير ونصرت ، وأنهم اتفقوا معهم سرياً دون أن يكشفوا عن هذه الاتفاقيات السرية ، وقد نشرت المنشور في حينه مجلة "تكبير" الأوردية الأسبوعية الصادرة في كراتشي.

النفوذ الشيعي في الحكومة الحالية :

على الرغم من وصول "نواز شريف" المنتمي لأصول سنية للسلطة إلا أن الشيعة ما يزالون في المراكز الحساسة حتى وأنه أسند لهم مراكز حساسة جديدة ، فمثلاً وزير التربية والتعليم (فخر إمام) وهو شيعي وزعيم "مجموعة الأحرار" الذي مرّ الحديث عنه قبل قليل ، وفي مهرجان دسياه

الصحابة (أي المدافعين عن الصحابة) و الذي عقد تكريماً لمقتل زعيم الحزب ويعتقد أن الشيعة قتلوه طلب منظمو المؤتمر بطرد فخر إمام من وزارة التربية والتعليم ، كما طلبوا بتحويل باكستان إلى دولة سنية ، وكان بعض أعضاء مجلس الشيوخ المنتمين للمدرسة الديوبندية (الحنفية) قد طالبوا أيام ضياء الحق بتقديم أسماء الضباط وأصحاب النفوذ من الشيعة إلى أعضاء مجلس الشيوخ كما حصل بالقاديانية حيث تم تقديم أسماء أصحاب النفوذ لمجلس الشيوخ.

وقد عيّن نواز شريف مؤخراً (عابدة حسين) الشيعية وهي زوجة (فخر إمام) ومعروفة بتعصبها الشيعي ويعدها الباكستانيون أنها سياسية أكثر من بي نظير كما قادت الوفد الباكستاني أيام زعامة بوتو إلى روسيا.

أما (إجلال حيدر زيدي) الشيعي والذي كان مستشار رئيس الوزارة لشؤون الدفاع فقد تم طرده من المنصب لاختلاسات ونحوها ولم يتم التحقيق معه.

وبالنسبة لحقيبة الخارجية فكأنها وقف على الشيعة في باكستان ، أما في الدول الأخرى فكأنها حكر لغير المسلمين ، فمثلاً أغاشاهي والذي كان وزير خارجية ضياء الحق في بداية حكمه شيعي ومعروف بولائه للخميني ، والذي خلفه (صاحب زاده يعقوب علي خان) شيعي وعادة لا يذكر "علي" في أسمه ، و(زين نوراني) والذي جاء لفترة محدودة أثناء توقيع اتفاقيات جنيف شيعي أيضاً.

ويقول بعض الباكستانيين المطلعين أن معظم سكرتيري الوزراء وكبار وزراء الأقاليم المحلية من الشيعة.

الإعلام والنفوذ الشيعي :

للشيعة نفوذ قوي في الإعلام حيث حدثنا بعض الأصدقاء الإعلاميين الباكستانيين بأنهم عندما زاروا خلية الإعلام في البنجاب تعجبوا لنفوذ الشيعة حيث أن معظم الأساتذة من الشيعة وكذلك في التلفزيون حيث يحرصون على عدم تشغيل غير أبناء مذهبهم.

وبالنسبة للصحافة فمثلاً صحيفة (المسلم) الإنكليزية اليومية يرأس تحريرها (أغا مرتضي بويا) ويطالب وبصراحة بدولة إسلامية على نموذج الدولة الإيرانية ويعمل بها الشيعة ، حيث أن معظم العاملين والمحررين شيعة ، والعجيب أنه رغم كون مؤسسها وصاحبها من التحالف الجمهوري الإسلامي إلا أنها تؤيد بي نظير بوتو.

وأما صحيفة "النيوز" اليومية الإنكليزية والتي تملكها عائلة (عبد الرحمن) في باكستان وهي عائلة سنية إلا أن رئيسة تحريرها امرأة شيعية الدكتورة (حليمة لودي) وكانت ترأس تحرير صحيفة "المسلم" سابقاً ، وهناك صحيفة (فرايدي تايمز) أسبوعية شيعية أيضاً . أما النفوذ الشيعي في الصحافة الأخرى فملحوظ فمثلاً الصحفي الباكستاني المعروف (شاهد حسين)

يكتب في عدة صحف يومية ويراسل صحفاً عالمية ، وكذلك الصحفية (نسيم زهرة) شيعية ، وهناك صحفيون آخرون ولكن الأسـمــاء التي ذكرت تعتبر بحق أقوى الإعلاميين الباكستانيين.

بالنسبة لمركز الدراسات الاستراتيجية والذي يخطـط السياسة الخارجية الباكستانية تغير رئيس المعهد عقب وصول بي نظير للسلطة وأزاحــت الجنرال عبد السني المعروف بميوله لضياء الحق ووضعت (راه مسعود حسين) وهو شيعي معروف.

التجارة : للشيعة نفوذ ملحوظ في التجارة والاقتصاد فمثلاً الأسواق الرئيسية في إسلام أباد مثل سوبر ماركت وجناح ماركت للشيعة ، وكذلك حصة كبيرة من بنك حبيب المشهور في باكستان إضافة لفندق كراتشي المعروف بـ (لكـسـري هوتل) وغيره من المؤسسات التجارية الأخرى . كما أن سوق الصرافة في بيشاور والتي ازدهــرت خـلال حقبة الجهاد الأفغاني المسيطر عليه تجار شيعة معروفون ومشهورون.

أسلوب الاغتيال والتصفية الجسدية :

تشير التقارير الموثقة أن للشيعة دورً قوياً في اغتيال الرئيس ضـيــاء الحــق حيث قيل بأن طـيـاره الذي انتحر كان شيعياً إضافة إلى أن الاستخبارات الباكستانية قد ألقـت القــبـض مؤخــراً على شـخــص أمريكي ثبت تورطه بالمؤامرة ومعه أرقام هواتف لمسؤولين إيرانيين يعيشون في إسلام أبــاد ، كما قتل مؤخراً ثلاثة أشخاص من أقرباء الجنرال (فضل الحق) حاكم إقليم (سرهد) سابقاً والمعروف بقربه من ضياء الحق وكرهه للشيعة ، وتشير الأدلة إلى تورط حزب تطبيق الفقه الجعفري في ذلك.

كما تفيد أدلة عــديـدة على تورط الشيعة في اغتيال الشيخ د. عبد الله عزام -رحمه الله- ولكن تم إغلاق الملف عندما وصلت التحقيقات إلى نقاط حساسة ، وقبله وبعده تم اغتيال الشيخ (إحسان إلهي ظهير) و(حق جهانكوي) زعيم (مدافعي الصحابة) المعادية للشيعة ، ثم خليفة (إيثار القاسمـي) ورد عـلـيـهـم (مـدافـعــوا الصحابة) باغتيال مدير المركز الثقافي الإيراني في لاهور حيث كان وراء اغتيال (إيثار القـاسمــي) والـذي كــان عـضـو الـبـرلمان الباكستاني.

تورط إيراني في بلوجستان :

أوائل حكم ضياء الحق قبضت السلطات الباكستانية على عدداً من حراس الثورة الإيرانية ومعهم الأسلحة في داخل الأراضي الباكستانية لزرع الفتنة في الإقليم، ولكن بعد مفاوضات مطولة تم تسوية الأمر مع الحكومة الإيرانية ، وأطلق سراح أصحاب الفتنة ، وكان يشغل في تلك الفترة حكم الإقليم (محمد موسى) وهو شيعي وزوجته شيعية، وعـنـدمــا تـوفـيـت زوجته نقلها إلى قم ودفنت هناك ، وعندما هلك هو أيضاً نقل إلى قم ودفن فيها.

ماذا تريد إيران من باكستان :

برزت إيـران بـعـد حرب الخليج بدون شك قوة إقليمية كبرى ، وأشارت إلى هذا بي نظير بوتو في مـحـاضــرة لـهـا ببيشاور عندما قالت : »إن إيران خرجت من حرب الخليج دولة إقليمية كبرى ولها طموحات في أفغانستان) ولكن طموحاتها تتعدى أفغانستان وتحلم بدولة باطنية في المنطقـة . ويبدو أن العقبة الهامة في وجه طموحاتها بعد القضاء على العراق هي باكستان ، ولذلـك تعمل حالياً على دفع باكستان لتوتير علاقاتها مع الهند بسبب كشمير وتظهر لها بأنها حـريـصـة على باكـسـتـان وإعــادة كشـمـيـر المسلوبة والحقيقة غير هذا، وتحـدثـت مصادر أفغانية موثوقة لـ (البيان) أنه في الاجتماع الأخير الذي ضم نواز شريف رئيس وزراء باكـسـتان مع زعيم الحزب الإسلامي الأفغاني السيد قلب الدين حكمتيار قال الأخير لنواز شريف بـأن إيـران تدفـعـكــم للحرب مع الهند لإضعاف بلدكم وبهذا ينفسح المجال لها لتكون قوة إقليمية كبرى ، وتحاول إيران حالياً جاهدة أن تفصل باكستان عن المجاهدين وتوتر علاقاتها معهم ، وذلك حتى لا يـبـرز تـحـالـف أفغاني باكستاني قوي، وهــذا ليس في مصلحـة إيران مستقبلاً ، وهذا ما يؤكد تخوف حكمتيار الأخير من موافقة باكـسـتـان على مقـتـرحات الأمم المتحدة لحل القضية الأفغانية والمجيء بحكومة من غير المجاهدين وتتلخص السـيـاسة الإيرانية في أفغانستان بقيام حكومة من الشيوعيين في كابل والمعتدلين (جيلاني ، مجـددي ، محمدي) ، وهذه نفس السياسة الغربية وما صرحت به الإدارة الفرنسية مؤخراً ، وبهذا تكون الحكومة الأفغانية ضعيفة هزيلة تتحكم بها إيران.

إن أفغانستان تعد عمقاً اسـتـراتيجياً مهماً جداً لأهل السنة. وأي ضربة قادمة بغيابها عن هذا التحالف - لا سمح الله - ستكون بالعمق والقلب.

والمعروف أن المعتدلين علاقاتهم غير طيبة مع باكستان وبهذا لن تكون الحكومة القادمة في صالح باكستان ، إضافة إلـى هـذا مـسـألة المسلمين في آسيا الوسطى حيث ترغب إيران في التأثير عليهم من خلال أفغانستان التي تشترك معهم بحدود طولها 1500 كم تقريباً، وأما إن كانت الحكومة الأفـغـانـيـة الـمـقـبـلة مؤيدة لباكستان فسيكون التأثير عليهم باكستانياً وأفغانياً وحينها ستنتعش التجارة الباكـسـتـانية في الجمهوريات الإسلامية المحتلة خاصة وأن سكان هذه الجمهوريات لا تستطيع شــراء السلع الحديثة الغربية لارتفاع أسعارها أما البضائع الباكستانية فرخيصة نظراً لرخصها بالأصل وقربها الجغرافي أيضاً .

حقيقة الهجوم على أمريكا:

يلاحظ المراقبون في باكستان هجوم قيادات الشيعة: كـتابـهـم ومسـوليهم عـلى أمريكا ولكن هل الحقيقة كذلك أم أن وراء الأكمة ما وراءها؟ والحقيقة

أنه قد كتب الكثير عن علاقات طهران مع المسؤولين الأمريكان وتوسط أمريكا في إنجاح الثورة الشيعية.

الشيعة وتطبيق الشريعة :

منذ أيام ضياء الحق وإعلانه عن تطبيق الشريعة وحتى الآن والشيعة يعرقلون ويضعون العقبات في طريق سن أي دستور لهذا الأمر، وإن كانت بعض المنظمات الإسلامية الأخرى تتحدث عن تطبيق الشريعة الإسلامية من باب النقص وعدم الجدية، فالشيعة يريدون تطبيق الفقه الجعفري على باكستان التي لا تضم سوى 5% من الشيعة وحاولت الأحزاب الشيعية جاهدة عرقلة التطبيق.

وبعد: أخي المسلم هذه حقائق نضعها حول منطقة تلعب دوراً خطيراً في العالم ، خاصة وأن العامل السكاني المسلم مهم جداً في هذه المنطقة والمؤلف من مجموع سكان باكستان وأفغانستان وبنغلاديش ومسلمي الهند. ونأمل أن يتم وضع استراتيجية فعالة لمواجهة هذه التحركات الباطنية الخطيرة.

بيان من حركة الجهاد الإسلامي الإرتري

قال الله تعالى : ((ولا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إنِ اسْتَطَاعُوا ومَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ وأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ))

إن من دأب الصليبين واليهود على مر التاريخ ومنذ بزوغ فجر الإسلام معاداة ومحاربة الإسلام والغدر بالمسلمين ومقاتلتهم حتى لا يتمكنوا من إعادة مجدهم الإسلامي التليد.

وتبعاً لهذا النهج العدائي للإسلام والمسلمن الذي تتبعه الصليبية واليهودية المعاصرة فإن ما يحدث الآن من تطورات خطيرة في أثيوبيا وإرتريا بعد سقوط نظام منغستو وتسلم الصليبية المحلية الناشئة والمتطورة السلطة في كل من أثيوبيا (جبهة ملس زيناوي) وإرتريا (جبهة إسياس أفورقي) ، بدعم ورعاية الصليبية الغربية ، والكنائس العالمية ، والمتمثلة في تجاهل التنظيمات السياسية الإرترية ذات التوجه الإسلامي والعربي وفي مقدمتها حركة الجهاد الإسلامي الإرتري ، وحرمان هذه التنظيمات من ممارسة حقها المشروع في تقرير مصير وطنها ، عن طريق فرض الإجراءات التعسفية عليها ، إن هذه التطورات سوف تؤدي بلا شك إلى تفاقم الأحداث وسوف تدخل المنطقة في حرب جديدة ذات أبعاد خطيرة.

إن ما يحدث الآن في أثيوبيا وإرتريا من ترتيبات سياسية ، يـدخل في إطار إستراتيجية ما يسمى (بالأمن الإقليمي لحوض البحر الأحمر) لخدمة القوى الاستعمارية الغربية ومنظمات الكنائس واليهودية العالمية في هذا الجزء من العالم . والجدير بالذكر فـإن الحـركـة أبرمت اتفاقيات التنسيق مع ثلاثة تنظيمات إرترية على أساس صيغة (الجبهة الإرترية المـتحـدة) تـتركـز في المجـالات السياسية والعسكرية ، والاقتصادية ، والعلاقات الخارجية ، وذلك للتصدي ومواجهة حجم المؤامرة الصليبية الكبيرة التي تستهدف المسلمين في المنطقة ، ومن المتوقع أن تقوي هـذه الخطـوة جبهة المعارضة الإرترية وتصديها لمخططات إسياس أفورقي الانفرادية المدعومة بالقوى الـصلـيـبـية المحـلـية والـعالمـية ، وتـبرز دور (حـركة الجهاد الإسلامي الإرتري) الرائد في مواجهة أعداء الإسلام وحشد الطاقات الإسلامية لذلك.
وإنـه لمـمـا يـدعو إلى الأسى والحزن أن ينفذ أعداء الإسلام والمسلمين من الصليبين واليهود مخططاتهم تلك على مـرأى ومسمع الدول العربية والإسلامية . وإن مسايرة بعض من دول الجوار من الدول العربية لهـذه المخططات وتـلك الإستراتيجية المعادية والتعامل معها من منطلق المصالح المتبادلة ودون المراعاة لحقوق ومصالح المسلمين في المنطقة يمثل تطوراً خطيراً لا يمكن قبوله ولا يجوز السكوت عليه ، لأنه يـتعـارض أولاً مـع عـقـيدة الإسلام في الولاء والبراء ، كما يتعارض مع مبدأ احترام حقوق الإنسان في حرية التـفكـير والـتعـبير واتخاذ القرارات.
وبـهذه المناسبة تتوجه (حركة الجهاد الإسلامي الإرتري) إلى المسلمين كافة وإلى الهـيئـات والمنظمات الإسلامية والدعات إلى الله في كل مكان بالنداء لدعم الجهاد الإسلامي في إرتريا مادياً ومعنوياً وإزالة المعوقات التي تقف أمامه والدفاع عن حقوق المسلمين الإرتريين في حق المشـاركـة لـتقـريـر مـصـير وطنهم عبر التنظيمات التي تعبر عنهم من خلال الجهد المبارك والمتواصل والسعي الحـمـيد لـدى إخـوة الإسـلام مـن الـدول الـعـربـيـة لـتنـهـض بواجبها الإسلامي.
قال تعالى:((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً ودُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ البَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ومَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ))

تفكك الاتحاد السوفييتي
وماذا بعد الانهيار

انـتهـت الحرب العالمية الثانية بانقسام العالم إلى معسكرين متعارضين سياسياً واقتصادياً ، المعسكر الاشـتـراكي بقيادة الاتحاد السوفييتي ؛

والمعسكر الرأسمالي الغربي بقيادة الولايات المتحدة . ولكن طـبيـعـة الـصراع بين هذين المعسكرين الجديدين ، كانت مختلفة تماماً عن طبيعة الصراع بين المعسكرات المتنـاحـرة في ما قبل الحرب العالمية الثانية أو الأولى ، ذلك أن ظهور نوع مختلف من الأسلحة هو السلاح النـووي ؛ وتـخـوف المعسكرين ورعبهما من خطر نشوب حرب نووية ، كان عاملاً نفسياً قوياً أجبر الفريقين علـى فـتتح أبواب الحوار لـتسوية المـشاكـل المستعصية . وبذلك انتقلت أشكال الصراع الرئيسي من ميادين القتال إلى معامل التجارب الـعلمـية ، ومحـطات أبحاث وصناعـة سـفن فضاء ، فكان صراعاً من نوع آخـر . الـتكـنولوجيا الحديثة سلاحه وأجهزة المخابرات جنـده ومـنفـذه ، فكانت الحرب الباردة.

في نهاية القـرن الـتاسـع عشر ، ظـهر عـلى الساحة الأيديولوجية كتابا »رأس المال« »والبيان الشيوعي« اللذان كتبا من قبل كارل ماركـس وإنجـلز في لـندن ، فكانا بمثابة أنظمة وشرائع ارتكزت على أساسها النظرية الشيوعية . قام الحزب الشـيوعـي ليسـتولي على سلطة أكبر دول العالم من حيث المساحة وثالثها من حيث السكان وذلك عقب ثورة 17 أكتوبر 1917 الروسية . لقد سيطر هذا الحزب على روسيا ومن ثم الاتحاد السوفييتي وحـكمـها فترة 74 سـنة ، تـعـاقب على رأس الحكم فيها ، وعلى مدى تلك الفترة ، كل من لينين وسـتالـين وماليـنكوف وخروتشوف وبريجينيف وأندروبوف وتشرنينكو وآخرهم غورباتشوف ... وخلال حكم هـؤلاء كـلهـم ، جرى ذبح ألوف من أهل الحكم الطامعين والطامحين ، كما جرى ذبح خمسة ملايين في حـرب أهلية ، ثم ذبح حوالي عشرة ملايين في عملية تصفيات ستالينية داخلية في الثلاثينات ، ثم ذبح ضعف هذا العدد في الحرب العالمية الثانية ، ثم ذبح الآلاف في حرب أفغانستان ، فكانت حصيلة حكم هذا الحزب لتلك البلاد ، انسحاق حوالي الأربعين مليون سوفيتي في مـوت غـير طبـيعي وفي تدابير استبدادية تعسفية تحولت معها الكنائس والمساجد زرائب للخنازير ، والأملاك الخـاصـة إلى مشـاعـات يـتصرف بها أفـراد الحـزب الحـاكـم ، ناهيك عن الحالة الاجتماعية والاقتصادية المخزية التي وصلت إليها البلاد.

ونظرا لضعف النظرية إلى اتـبعها وقـصر نـظـرها ، ونـتـيجـة لهشاشة السياسة العملية إلى انـتهـجها ، بالإضافة إلى الكفر والاستعلاء والاستكبار والقتل والظـلم والـقهر بحـق شـعبـه وغيره ، اعـترف الاتحـاد السـوفـييتي ، ومع بداية الثمانينات ، بعجزه ، وذلك بعد أن ظهرت ، وبشكل واضح ، علامات ضعفه وفشله في الحرب الباردة مع المعسكر الرأسـمــالي الغربي.

لقد بدأ العد العكسي عند المعسكر الشرقي وخاصة في الاتحاد السوفيتي حيث بدأت الأمور تتفاقم والحالـة الاجتمـاعـيـة والاقتصادية من سيئ إلى أسوأ ، حتى جاء غورباتشوف وفي منتصف العقد الماضي ليقدم عـرضــه

»البيريسترويكا« أو »إعادة البناء« ، والذي شكل ثورة في المواقف والأفكار والممارسات ، ودعـا إلـى تغيير جذري في السياسة الداخلية والخارجية على السواء ؛ يقول غورباتشوف في مقدمة كتابه »البيريسترويكا«:
»نحن نعرف ونأخذ في الاعتبار الدور الكبير الذي تلعبه الولايات المتحدة في العالم الحديث ، ونقدر إسهام الأمريكيين في الحضارة العالمية،ونحسب حساباً للمصالح المشروعة للولايات المتحدة ، وندرك أنه بدون هذا البلد يستحيل إزالـة خـطـر الكارثة النووية ، وضمان سلم وطيد . وليست لدينا أية نوايا سيئة تجاه الشعب الأمريكي . ونحن راغـبــون ومسـتـعدون للتعاون في كافة المجالات . لكننا نريد أن نتعاون على أساس المساواة ، والتفاهم الـمتبادل والمعاملة بالمثل«.
لقد جاءت »البيريسترويكا« في الاتحاد السوفييتي لتنهي مرحلة حرب باردة خارجية دامت 40 سنة وتفتح ، في الوقت نفسه ، مرحلة حرب باردة داخلية ، دارت لمدة سـتـة أعـوام بـيـن تيارين متناحرين أفرزتهما تلك »البيريسترويكا« : تيار المحافظين الماركسيين اللينينيين ، وتـيـار الليبراليين الديموقراطيين .
كان المعسكر الغربي ما يزال مستمراً في تركيز مواقعه وتشديد الخـنـاق على المعسكر الشرقي . فلقد عملت أوروبا والولايات المتحدة واليابان بكل قوتها من أجـل تجهيز المسرح العالمي لانتهاء الحرب الباردة ، ليس من خلال تنازلات ، وإنما من خلال زيادة الضغوط لتصفية المعسكر الشرقي بمقوماته المختلفة ، وحصار الاتحاد السوفييتي ودفعه إلى داخل حدوده ، وتقليص نفوذه الدولي ليصل إلى أدنى حد ممكن.
ففي سنة 1984،كانت اللجنة الثلاثية - وهي لجنة غير رسمية تضم ممثلين عن الولايات المتحدة وأوروبا الغربية واليابان - قد طالبت الدول الأعضاء - وخاصة دول أوروبا الغربية - ببذل جهود مـن أجـل تكـثـيـف روابطها الاقتصادية والعلمية والثقافية مع دول شرقي أوروبا في محاولة لإنهاء تقسيم الـقـارة الذي طــرأ مـنـذ عام 1945 ، وذلك تحت عنوان »الديموقراطية لا بد أن تنتصر« ، وشعارات حقوق الإنسان، والحرية الديموقراطية، وإصلاح النظام الاقتصادي ، إضافة إلى موضوع مواجهة الإرهاب...
لـقـد نجحت دول التحالف الثلاثي على مدار السنوات الست ، في اتخاذ خطوات أدت فعلياً إلـى تقليص النفوذ السوفيتي في العالم الثالث وقلب النظام السياسي البولندي سلمياً، ثم تداعي نـظـم أوروبـا الـشـرقـيـة بـسـرعـة لا تصدق وسقوط رؤوسها ، وفاق غورباتشوف والاتحاد السوفييتي ، الواحد تلو الآخر . وشـهـدت بـرلـيـن قمة الأحداث المثيرة في شهر نوفمبر 1989 ، عندما سقط جدار برلين وتدفق المواطنون الألمان الشرقيين إلى الغرب ، مما أدى فعلياً إلى إنهاء ارتباط الاتحاد السوفييتي بدول شرق ووسط أوروبا ، وأصبح السوفيات في حاجة للغرب أكثر من أي وقت مضى؛ فلقد

صرح الرئيس البولندي ليخ فاليسا، وخلال زيارته إلى بريطانيا في 25/4/1991 ، أنه ينبغي على الاتحاد السوفييتي السماح لشعوبه بتشكيل اتحاد جديد قائم على أساس الديموقراطية ، وحذر في خطاب ألقاه أمام مؤتمر للسياسيين الأوروبيين الشباب من أن الغرب قد يواجه هجرة جماعية من أوروبا الشرقية إلا إذا ساعد البلدان الشيوعية على إنعاش اقتصادياتها...

لقد سقطت إذن أوروبا الشرقية في أيدي المعسكر الغربي الذي تمكن معها بدفع المعسكر الشرقي إلى داخل حدوده وتقليص نفوذه ، فوقعت تائهة تنتظر العون والمدد من جاراتها الغربيات ، فما كان من تلك الأخيرة ، ولكي تضمن انسلاخ تلك الدول عن معسكرها السابق ، إلا أن ربطت تلك المساعدات بالانتقال السريع المباشر من اقتصاد »رأسمالية الدولة« حيث يتحكم القطاع العام بكل شيء إلى »دولة الرأسمالية«...

وفي مطلع الأسبوع الثالث من شهر نيسان 1991 ، افتتح في لندن البنك الأوروبي للتعمير والتنمية . ولقد أعلن هذا البنك صراحة أن قروضه مشروطة سياسياً ، أي ربط التمويل بأهداف سياسية صرفة ، وهذا أمر غير متاح من خلال قوانين المؤسسات الدولية الأخرى مثل البنك الدولي أو صندوق النقد الدولي على الرغم من الخضوع المتزايد لهذه المؤسسات لاعتبارات سياسية . فلقد حدد هذه البنك هدفه الأساسي بمساعدة دول أوروبا الشرقية على الانتقال من الاشتراكية إلى الرأسمالية ، وسيتضمن ذلك بصورة ملموسة مساعدة الدول الخارجة من النظام الشيوعي على تصفية القطاع العام وتكوين البنى التحتية لنظام الاقتصاد الحر.

في 24/4/1991، وخلال اجتماع عقد في براغ وضم عشرين وزير عمل أوروبي ، نقلت وكالة الأنباء التشيكوسلوفاكية عن وزير العمال السوفيتي فاليري بولمان توقعه أن يُجبر الوضع الاقتصادي حوالي ثمانية ملايين عامل على البحث عن عمل في الخارج خلال السنوات الثلاث المقبلة . ولكن الرد الغربي كان صارماً وصريحاً : مزيداً من التنازلات ، الانتقال السريع ، وإليكم الدعم ...

وهكذا، وتنفيذاً لشروط الغرب للحصول على مساعداته،وتحت شعار تكريس الديموقراطية في الاتحاد السوفييتي وتحسين أحواله الاقتصادية ، قام الكرملين بقيادة غورباتشوف بالانسحاب من كل مواقعه الاستراتيجية في العالم وأهمها الشرق الأوسط ، وبانسحابه ، تفرد الغرب بالقرار هناك ، فتم تدمير قوة الأمة والهيمنة على مقدراتها وثرواتها ، وتنفذ حالياً التسوية السلمية للصراع العربي الإسرائيلي بالشروط الإسرائيلية الكاملة ، وتتم تصفية القضية الفلسطينية، ولكي يبيض سجله لدى السلطات الأمريكية في مجال حقوق الإنسان ، فقد سمح بهجرة يهود الاتحاد السوفياتي إلى إسرائيل وعددهم بالملايين.

هذا على الصعيد الخارجي . أما على الصـعـيـد الـداخـلي للاتحاد السوفياتي ، فالحرب الباردة كانت مستمرة ، تهدأ تارة وتشتد تارة ، مـرت فـيهـا البلاد في ظروف صعبة جداً وصلت بها أحيانا إلى حافة الهاوية ، ثم تخطَّتها حتى كان الانقلاب فجر 19/8/1991 . فـكـيـف دارت أحداث تلك الحرب الداخلية الباردة ؟ مـا هي الأحـداث الـتـي سبقـت الانقلاب ؟ لماذا وقع الانقلاب وما هي أهدافه ونتائجه؟..

»يتبع«

كتب

البعد الديني في السياسةالأمريكية تجاه الصراع العربي -الإسرائيلي

تأليف : د. يوسف الحسن

عرض : أحمد عبد العزيز أبو عامر

حدد القرآن الكريم والسنة المطهرة العلاقة بـين الـمسلمين وأهل الكتاب في السلم والحرب، وحـذر مـن أعــداء الإســلام وخـاصة من اليهود لما جبلوا عليه من غدر ولوم وعداء صريح للإسلام والمسلمين يقول تعالى:((لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَــنُــوا الـيَـهُـودَ والَّذِيـنَ أَشْرَكُوا)) ويشتركون مـع الـنـصـارى في عدم الرضا عن المسلمين لقوله تعالى : ((ولَن تَرْضَى عَنكَ اليَهُودُ ولا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ)) وهذا ما يؤكد أن العداء مع هؤلاء عداء عقيدة ، لكن كثيراً من العلمانيين في عالمنا العربي اليوم يحاولون بكل جـهـودهـم تـحـجـيـم هـذا الـعـداء وأن الـمـسـألة خلاف قومي بمزاعم موهومة يكذبها الواقع ، ولذا كثيراً ما نجدهم يطنطنون بالأخوة القومية بعيداً عن الأخوة العقدية ، ويفرقون بين (الصهيونية واليهودية) بدعوى أن عداءنا مـع الصهاينة وليس مع اليهود وقد ألفت في هذه الدعوى كتب ورسائل ولعله يتسنى لي في فرصة قريبة بيان خطأ هذا التوجه وبيان زيف مدعيه.

والمتابع للأحداث الـجـارية فـي المنطقة ولا سيما أهمها وهي ما تسمى بأزمة الشرق الأوسط التي هي (مشكلة العدوان الصـهـيـوني واحـتـلال الأرض المباركة في فلسطين ظلماً وعدواناً) يلمس التعاطف الكبير بين اليهود والنصارى الـذيـن لـولا دعـمـهـم لليهود لم تقم لدولتهم قـائمة مع العداء الديني بين هاتين الملتين . ولقد استطاع الصهاينة بخـبـثـهـم أن يوظـفـوا (الكتاب الـمقدس) لصالحهم بشكل نتجت عنه اتجاهات صهيونية في المسيحية كما سترى في هذا الكتاب.

والكـتـاب الـذي سـنقـدم عرضاً له في هذا المقال هو أحد مطبوعات (مركز دراسات الوحدة العربية) وهو مؤسسة قومية علمانية تصدر عدة سلاسل

ثقافية ، والكتاب يحمل رقم 15 في سلسلة (أطروحات الدكـتـوراه) ويـبـلـغ الكـتـاب 222 صفـحـة مع الفهارس وقد قام المؤلف بجهد في رصد وتحليل الاتجاهات الصهيونية في الحركة الأصـولـيـة الـمسيحية الأمريكية الـمعاصرة وكشف عن قوة تأثيرها في صنع وتشكيل السياسة الخارجية الأمـريـكـيـة تـجـاه الصـراع الـعـربي الـصـهـيـوني ودورهـا في توفير المناخ الملائم لنزعة أمريكية عامة متحيزة لإسرائيل ، كما سعى إلى كشف الغطاء عـن الـمـدى الـواسـع في استعمال الرموز الخطابية التوراتية في العمل السياسي الأمريكي نتيجة تأثير الكنيسة في المجتمع المدني وبخاصة في ثقافته العامة بحيث صور الصراع العربي الصهيوني فـي الخـيـال العام الأمريكي على أنه امتداد للصراع التوراتي بين اليهود وغيرهم ، وعلى أن العلاقة الأمريكية الإسرائيلية هي علاقة خاصة قائمة على فهم توراتي تراثي مشترك . ولذا وجـد فـي الخـطـاب السـيـاسي الأمريكي اصطلاح (الالتزام الأخلاقي بدعم إسرائيل) وهو ما لم يستعمل مع دولـة أخـرى غير ربيبتهم تلك.

وقد قسم المؤلف الكتاب إلى خمسة فصول وخاتمة على النحو التالي :

الفـصـل الأول : تـنـاول فـيـه جذور الصهيونية في المسيحية الأصولية الأوربية منذ القرن (16م) محللاً كيف اختلفت الـمـعـتـقـدات الـديـنـيـة وتزاوجـت بالأهـداف الـسـيـاسـيـة والاستراتيجية، ومـهـدت الـمـنـاخ الملائم لولادة الحركة الصهيونية السياسية للجماعات اليهودية.

الفصل الثاني : البحث عن التأصـيـل الـتـاريـخـي لـلاتجاهـات الصهيونية في المسيحية الأصولية الأمريكية موضحاً أهم المنظمات الصهيونية المسيحية الأمريكية في النصف الأول من القرن العشرين ومحللاً مواقفها تجاه الصراع العربي الصهيوني واشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث هي :

1- جذور الصهيونية في التاريخ الأمريكي.

2- جذورها في الكنائس البروتستانتية.

3- الاتجاهات الصهيونية والكنيسة الكاثوليكية.

الفـصـل الثالث : ناقش الكاتب الحركة المسيحية الأصولية في الفترة بين عامي 1967 - 1968 وحلل أهمية دور الكنيسة في المجتمع الأمريكي وعلاقاتها بالدولة دستورياً ، كما تناول العوامل التي تقف وراء نهوض الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية وبخاصة تأثير نكبة 1967 فـي إحـيـاء فـكـر الـحـركــة وتنشيط صهيونيتها وازدياد تأثيرها في السياسة الخارجية.

الفصل الرابع : البحث في مؤسسات الـحـركـة المسيحية الأصولية ومنظماتها وتحالفاتها وجماعات الضغط فيها ، كما ناقش الظاهرة الجديدة المسماة بالكنيسة المرئية ، وبين أهم منظماتها وأبرز قادتها وأكثر برامجها انتشاراً وتأثـيـراً إضـافـة إلـى عـلاقـاتها السياسية والإعلامية والمالية وامتدادها إلى خارج أمريكا.

الفصل الخامس : ناقش المؤلف في بحثين هامين الخلافات بين الحركة المسيحية الأصولية والـحـركــة الصهـيونية اليهودية وإسرائيل ، كما تناول الآفاق المستقبلية لحركة المسيحية الأصولية في المجتمع الأمريكي.
وفي الخاتمة : تناول أهم نتائج دراسته إلى لخصها فيما يلي :
1- بيان الأصول والاتـجـاهـات الـصـهيونية في الحركة المسيحية الأصولية في أمريكا وهي التي تزعم بأن عودة اليهود إلى فلسطين مفـتـاح الـنـبـوءات الـمقدسة والمبشرة بعودة المسيح الثانية.
2- أن مـقــولة (أرض بلا شعب لشعب بلا أرض) هي مشروع مسيحي صهيوني قدم لمؤتمر لندن عام 1840 وأن أول جماعة ضغط صهيونية بأمريكا أسسها رجل دين بروتستانتي هو (بلاكستون) عام 1887
3- إن قـنـاعــات (بلـفـور) الـديـنـيـة والـمـعتقدات التوراتية (للويد جورج) رئيس الوزراء البريطاني آنذاك وتأثرها بالفلسفة اليهودية وخلفياتها الفكرية الدينية وراء بلورة موقفهما السياسي تجاه المشروع الصهيوني.
4- وبتحليل الجذور التاريخية للاتجاهات الصهيونية غير اليهودية في التاريخ الأمريكي وفـي الـكـنـائـس الـبـروتـسـتـانـتـية والكاثوليكية في أمريكا .
توصلت الدراسة إلى أن هذه الاتجاهات قد شكلت عنصراً بارزاً فـي الـحـيـاة الـثـقـافـية والسياسة الأمريكية منذ بداية تأسيس أمريكا عن طريق (البيوريتان) الذين حملوا معهم التقـاليد والقناعات التوراتية التي انتشرت في إنجلترا بعد القرن 16م.
5- تـبـيـن أن الـمؤسسات والمنظمات المسيحية الصهيونية تلقت الدعم العلني والسري من الحركة الصهيونية وبقيام دولة إسرائيل تدعمت المعتقدات المسيحية الأصولية بدعوى أن الحدث إشارة إلى النبوءات المقدسة عندهم.
6- إن الكنيسة الأمـريـكـيـة نظـام شمولي في أغراضه وأنشطته وعلاقاته حيث تمزج الدين بالتعليم وبالخدمات الاجـتـمـاعـية وبالطب والسياسة والفن والحرب والسلام ولا يفلت من شبكها شيء يتعلق بالإنسان.
7- إن الصحوة المسيحية الأصولـيـة تـجـسـدت فـي تـيـار جماهيري له مؤسسات متعددة الأغراض والإمكانات المالية ليس من السهل مقاومته وتستطيع تعبئة عدة ملايين للانخراط في العملية السياسية الانتخابية.
8- إن المسيحية الأصولية جسدت حركتها في مؤسسات إعــلامـيـة ومـنظـمـات وجماعات وتحالـفـات متعددة خارج أمريكا ، وتعاونت مع إسرائيل في تأسيس منظمة أصـولـيـة فـي القدس وقــد أسـسـت الكـنـيـسـة المرئية التي تستخدم برامجها الاستعراضية لجمع أموال التبرعات ، ولا تكتفي بالدروس الديـنـيـة بـل تهـتـم بكل المسائل الاجتماعية والسياسية والعسكرية والترفيهية وتهتم باكتساب القوة والنفوذ السـيـاسـيـين أكثر من اهتمامها

بالدين وتقدم رؤيتها السياسية لقضية الصراع العربي الصهيوني من خلال رؤيتها التوراتية.

ويختم المؤلف كتابه بما سماه (خطة عمل عربية لمواجهة صهيونية الحركة المسيحية الأصولية) ومن أهم بنود هذه الخطة :

1- إعداد دراسة جادة ومفصلة حول مواد التعليم في مدارس الأحد والمدارس الدينية المسيحية لاستكشاف العناصر الخفية والظاهرة للاتجاهات الصهيونية المؤيدة لإسرائيل . وتقديمها لقادة المسيحيين المتعاطفين مع وجهة النظر العربية وتشجيعهم بالمطالبة بإصلاح برامج تعليم تلك المدارس!!

2- دعم وتشجيع عقد مؤتمرات دينية مسيحية في أمريكا وبشكل دوري تناقش فيها مسائل العلاقات بين الدين وحقوق الإنسان بهدف استكشاف استخدام الصهيونية السياسية التوراة لمصالحها ومؤتمرات أخرى في بعض البلاد العربية حيث يوجد فيها المسيحيين.

3- تنظيم حملة إعلامية مستمرة في أمريكا مستخدمة اللغة الكنسية نفسها لتنفيذ مزاعم الصهيونية المسيحية كأطروحة شعب الله المختار ووضع مدينة القدس على أن تبدأ في الأرياف قبل المدن.

4- دعم وتشجيع ونشر معلومات معدة بشكل علمي وميسر حول الإسلام ومعالجة للقضايا الاجتماعية والسياسية ونظرية الأديان ودور الحضارة الإسلامية في حفظ الحضارة الإنسانية.

5- وضع أسس حوار دائم بين المسيحية واليهودية و الإسلام واستحداث أقسام داخل المنظمات والمعاهد والمراكز والمؤسسات الإسلامية في الوطن العربي مختصة بهذا الشأن وتنظيمه.

6- دعم وتشجيع نشر مقالات وأخبار حول مسائل تتعلق بحقوق الإنسان الفلسطيني في الأرض المحتلة وإثارة أسئلة حول معتقدات المسيحيين في العهد القديم.

7- استعملت الأصولية المسيحية المتصهينة تقنية الأقمار الصناعية للاتصال بغيرها عبر العالم لنشر دينهم عبر الكرة الأرضية وأي خطة لمواجهتهم لا بد أن تشمل استخدام هذه التقنية المعاصرة.

ملاحظات عاجلة على الأطروحة

أولاً: أشار المؤلف بأن أطروحته هذه هي أول الأبحاث التي تناولت هذا الجانب من السياسة الأمريكية . وهذا بنظري ليس صحيحاً إذ سبق الكاتب في بحث هذا الموضوع بالعديد من الدراسات والكتب المنشورة ومنها :

1- الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي (حيال القضية الفلسطينية)

2- النبوءة والسياسة تأليف (غريس هالسل) ترجمة الأستاذ محمد السمّاك . حيث تطرقت المؤلفة لعمل المؤسسات والشخصيات داخل أمريكا لصالح إسرائيل.

3- قبل أن يهدم الأقصى كتاب للأستاذ عبد العزيز مصطفى وبيان دور الصهاينة النصارى في دعم إسرائيل.
4- دراسة الأصولية الدينية والثقافية للقرار الغربي في الصراع على فلسطين للأستاذ طارق متر نـشــرتـه مجلة الفكر الإسلامي البيروتية العدد 1/السنة91 الصادر في جمادي الأول 1409
ثانياً : المؤلف كتب أطروحته من منظور قومي ولم يذكر وجهة نظر الإسلام في هذا الموضوع وبالمنطلق القومي أراد استخدام النصرانية - فيما يزعم - لصالح وجهة النظر العربية.
ثالثاً :من أعـجــب العجب أن يستغل اليهود والنصارى الدين لمصالحهم العليا لكننا نرى (القوميين العرب) يســتـغـلــون الدين لمصالحهم القومية الضيقة ولا يهم إن كان ذلك يصح شرعاً أو لا . المهم أن يخدم مصالحهم.
رابعاً : أغفل المؤلف الـحـلـول الإسلامية الجذرية لمعالجة قضية الصراع العربي الصهيوني وأنه لا ينفع معهم إلا القــوة الإيمانية المنبثقة من الجهاد الإسلامي الذي يعرفون حقيقته حق المعرفة يوم حاربهم المجاهدون الأوائل في بدايات قيام دولتهم وأبلوا بلاء حسناً ولولا القرارات المحبوكة ضدهم لتغير التاريخ ولكن قدر الله لا بد أن يتم وعسى أن نعرف الحل الجذري لمشكلتنا معهم فالـحـرب مـعـهــم لا بـد أن تـكــون عقائدية ولا يمكن أن نهزمهم بالعلمانية الحاكمة في البلدان العربية ، والله غالب على أمره.

حديث وعبرة

عبد العزيز بن أحمد باطرفي

الحديث :

عن زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعـود -رضي الله عنهما- قالت : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: »تصدقن يا معشر النساء ولو من حُليكن«.
قالت : فرجعت إلى عبد الله بن مسعـود فقلت له : إنك رجل خفيف ذات اليد(1) ، وإن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد أمرنا بالصدقة ؛ فأته فاسأله ؛ فإن كان ذلك يُجزئُ عني (2) وإلا صرفتها إلى غيركم.
فقال عبد الله : لا ، ائتيه أنت.
فــانطلقتُ ، فإذا امرأة من الأنصار بباب رســـول الله -صلى الله عليه وسلم- حـاجـتــي حاجتها . وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عليه المهابة ، فخرج علينا بلال فقلنا له : ائت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، فأخبره أن امرأتين في الباب تسألانك :
أتجزئُ الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما (3) ؟ ولا تخبره من نحن.

فـدخـل بلال على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، فسأله ، فقال الرسول -صلى الله عليه وسلم- : »من هما«؟
فقال : امرأة من الأنصار وزينب ، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : »أي الزيانب هي ؟«
قال : امرأة عبد الله.
فقال الرسول -صلى الله عليه وسلم- : »لهما أجران : أجر القرابة وأجر الصدقة« متفق عليه واللفظ لمسلم..

دروس من الحادثة :

من هــذه الـحـادثــة الـتـي وقــع فيها بلال -رضي الله عنه- في موقف حرج وطريف بين الرسول -صلى الله عليه وسلم- وبـيـن وصـيــة الصحابيتين له بعدم ذكر اسميهما نخلص بفوائد ودروس منها :
* كثيراً ما تمر علينا مواقف حرجة ، وعـنـدمــا يـحــاول البعض الخروج من هذا الموقف بالتورية نراهم يقعون في الكذب سواءً علمه الناس أو كــان بين الواحد منا وبين ربه . وإن كان في التورية مندوحة عن الكذب إذا احتيج إلى ذلك.
وبلال -رضي الله عنه- حاول التورية لكي ينفذ ما طلبته الصحابيتان منه بقوله »امرأة من الأنصار وزينب« والزيانب كثيرات ، ولكن فطنة الـرســول - صـلـوات الله وسـلامه عليه- أوقعت بلال في موقف ؛ فلم يجد مخرجاً منه غير الصدق لأنه يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة ولأن ليس أمامه إلا التصريح ولا مضرة في ذلك.
* أن مجــال الخـيـر لـيـس مقصوراً على الرجال دون النساء والباب مفتوح للجميع فهذا رسول الله -صلى الله علـيه وسلم- يخص فيها النساء بموعظة وتذكير ويحث النساء على التصدق ، والأصل في الأوامر أنها للرجال والنساء معاً . وهذا يشجع الأخوات على حضور المحاضرات والدروس التـي يـوجـد فـيـهـا مـكان لهنّ . إذا كان ذلك لا يخل بواجب ولا يعرضها لفتنة.

* تنبيه المرأة المسلمة وحثها على الإنفاق:

إن ما ينفق على الكماليات والزينة والأزياء فيها من الإسراف ما الله به عليم فلو خصصت كل أخت مبلغاً معيناً للإنفاق في سبيل الله ووجوه الخير لكان خيراً لها وأعظم أجراً.
* كم .. وكم يـسـمـع الـواحــد منا من مواعظ .. أو كلمات .. أو خطب عن طريق الدروس والمحاضرات .. أو الأشرطة .. أو المذياع أو غيرها مما تأمرنا بمعروف وتنهانا عن منكر .. ولكن هل أحس كل واحدٍ مـنـا أنـه هــو الـمعني بالخطاب ؟ فامتثل الأمر واجتنب النهي واتقى الله.
والصحابة -رضوان الله عليهم- كل واحد مـنـهـم عـنـدمــا يسمع الخطاب يعتقد أنه هو المخاطب به ، دون سواه.

وبهـذا الأدب فـي الاستماع يبادر الجميع إلى العمل كما ترى في هاتين الصحابيتين -رضي الله عـنـهـمـا- ، وهذا ما تعلمه الصحابة -رضوان الله عليهم- من النبي -صلى الله عليه وسلم- : العلم والعمل.
* إخفاء أعـمــال الخـيـر عن الناس قدر الاستطاعة وهذا خلق من لا يريد الرياء والسمعة والشهرة بين الناس و إنما نقلت لنا الصحابية الخبر لكي لا تكتم علماً .. »لهما أجران : أجر القرابة وأجر الصدقة«.
* كان رجال الصحابة -رضي الله عنهم- يعـلـمـون ويشـعـرون بقوامة الرجل على المرأة ، وكأن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- تحرج من سؤال النبي -صلى الله عليه وسلم- عن صحة إنفاق زوجته عليه وعلى أبنائه مع حاجته الـمـاسة والشديدة إلى ذلك لأنه كان خفيف ذات اليد أي قليل المال فاستحيا أن تنفق عليه المرأة.
وما أكثر الرجال في وقتنا المعاصر الذين يتربصون بما في أيدي الـنـسـاء ويـرضون أن يكونوا عالة عليهن ، بل ربما عضل بعضهم ابنته عن الزواج ليكسب من ورائها شـيـئـاً من حطام الدنيا الزائل.

حب الزوج وستر حاله :

ونرى ذلك في مساعدة الزوجة زوجها وأبنائها بالصدقة وستر أمر الزوج وفـقــره عن الناس عندما طلب الصحابيتان -رضي الله عنهما- من بلال عدم ذكر اسمهما لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

التحلي بالصبر:

ومن أنواعه الصبر على ضيق العيش فهاتان الصحابيتان صابرتان محتسبتان عـلـى شظـف العيش مع أزواجهما من غير تذمر ولا سخط ولا غضب . بل إنهما تكتسبان وتنفقان وإنما تحرجتا من إنفاق الزكاة الواجبة على الزوج ومن في حجورهما من الأيتام فسألتا عن ذلك.
* حازت الصحابيتان الخير الكثير فلهما أجران : أجر القرابة وأجر الصدقة ، وهو عمل واحد فيا له من خير عظيم.
* على المرأة المسلمة أن تسأل أهل العلم فيما يعرض لها من مسائل في الدين والدنيا فإنه لا حـيـاء في الدين وإذا أمكن أن يكون ذلك بواسطة زوجها أو قريب لها كان أفضل وأبعد لها عن الفتنة وذلك ما بدأت به زينب زوج عبد الله.
ومن أسـهـل هذه الطرق - وبحمد الله - الهاتف فأرقام أهل العلم من المشايخ متوفرة ؛ ولا يبقى إلا كـسـر حاجز الشيطان الذي يضعه أمام كل مؤمن ومؤمنة ليمنعه من معرفة الحكم الشرعي الصحيح.
وأخيراً فإن الإمام النووي وضع هذا الحديث في باب »بر الوالدين وصلة الأرحام«.

الهوامش :

1- خفيف ذات اليد : أي قليل المال.
2- يجزئ عني : دفعتها لكم.
3- على أيتام في حجورهما : أي في ولايتهما وتحت حمايتهما.

صحة

حوادث التسمم

د. محمد صايل هليل

يقع التسمم العارض Accidental poisoning بين واحد إلى اثنين من كل مئة طفل دون الخامسة . وهو يشكل أحد الأسباب الرئيسية لوفاة الأطفال في هذه الفترة من العمر . إن حوادث تسمم الأطفال تسجل أعلى معدل لها عند الأطفال في السنة الثانية من العمر ، إلا أن نسبتها في الأطفال الذين تقل أعمارهم عن سنة واحدة عالية أيضاً . إن ثلث حوادث تسمم الأطفال تقع في مطبخ البيت كما بينت بعض الدراسات . وأن أهم عنصر في حوادث التسمم هو تخزين المواد بشكل خاطئ.

تبدأ حوادث التسمم عند الأطفال حالما يبدأ الطفل الحبو والتحرك داخل البيت . فالأطفال الذين تقل أعمارهم عن سنتين يتناولون المواد الضارة المخزونة في أماكن قريبة من الأرض، كخزائن المطبخ السفلية مثلاً ، وأن الأطفال بين 3-4 سنوات من العمر ، يتناولون المواد المحفوظة في أماكن مرتفعة بعد تسلقهم والوصول إليها.

إن حركة الطفل المفرطة، وفضوله الشديد لمعرفة كل ما في البيت ، إضافة إلى أن الطفل يمر بمرحلة نمو نفسي - المرحلة السلبية - يحاول فيها بناء ذاته واستقلال شخصيته، بحيث لا ينصاع للأوامر والنواهي ، كل هذه الأمور تعرضه إلى التسمم أكثر من غيره . لذا فإن حوادث التسمم لا تعني تقصير وإهمال الأهل بالضرورة . إن المواد السامة كثيرة وعديدة وهي أكثر من أن تحصى، وفي بعض الدول أنشئت مراكز ضبط التسمم Poisoning Control Centres ويمكننا تقسيمها في المجموعات التالية :

1- الأدوية : وتشمل كل الأدوية مهما كانت دون استثناء مطلقاً.
2- المواد البترولية: كالبنزين ، الكيروسين (الجاز) وسوائل القداحات وغيرها وهي خطرة جداً لما تحدثه من تلف يصيب الرئتين وأحياناً القلب والدماغ.
3- المبيدات : وهي مبيدات الحشرات وهي مواد شديدة السمومية ، تؤثر على الجهاز العصبي.
4- مواد التنظيف: وهي المستخدمة لتنظيف الحمامات والمراحيض والمصارف .. وهي مواد كاوية حارقة تتلف القناة الهضمية تلفاً شديداً إذا أخذت عن طريق الفم وتسبب مضاعفات خطيرة تلازم الطفل طيلة عمره.

5- التبغ وأعواد الثقاب لما تسببه إثر تناولها عن طريق الفم.
6- النباتات : سواء نباتات الزينة أو ما ينبت قريباً من البيت من النباتات البرية ، أو ما يضاف للنباتات من مواد كيماوية - وهي عديدة جداً.
7- مواد التجميل والعطور وطلاء الأظافر والآسيتون.
8- الغازات السامة المنبعثة من المدافئ والمواقد : كمواقد الفحم والكيروسين ، وغيرهما..
9- التسمم باللدغ : كلدغ العقرب والأفعى والحشرات الأخرى.
10- المواد الكيماوية الأخرى : مثل كرات العث (كــرات الـنـافـثـالـيـن) التي توضع مع الملابس.

ويقــع حادث التسمم إما بوضع المادة الضارة قريباً من متناول الطفل ، وهذا هو الأغلب ، أو وضعها في أوعية يختلط على الطفل بأنها مواد غذائية . فوضع الكاز في زجاجات المياه المعدنية عادة خاطئة ، غالباً ما تكون السبب - وكما نراه - في تسمم الطفل العطشان الذي لا يستطيع إن يفرق بين الماء والكاز إلا بعد شربه فقط.

تصل هذه المواد إلى داخل الجسم بطرق عديدة كالفم - والتنفس - والجلد أو داخل الجلد كاللدغ مثلاً أو غيرها . إن تأثيرها يتفاوت بحسب نوع المواد المتناولة وعددها وكمياتها . والفترة المنقضية ما بين تناولها وزيارة الطبيب وعوامل أخرى لا مجال لبحثها.

إذن ما العمل لتفادي تسمم الأطفال؟

هذا سؤال حتمي أمام الحقائق ، والجواب يتلخص في هذه الإرشادات كخطوط
عامة :

1- بالرغـم مـن أن الـبـعـض قــد يظن أنه ليس عملياً أن نرفع كل المواد الضارة بعيداً عن متناول الأطفال : إلا أن هذا هو أهم إجراء وقائي . نعم وضع المواد السامة في مكان مرتفع ومحكم الإغلاق.
2- لتسهيل ما سبق ، ينصح بعدم تخزين كميات كبيرة جداً من المواد الضارة كالمنظفات والدهانات والمبيدات ومواد تلميع الأثاث وغيرها في البيت.
3- عند الانتهاء من استعمال مــادة معينة أو نفاذها يرجى عدم الاحتفاظ بعبوتها الفارغة أو تركها للأطفال يلعبون بها ، بل إلقاؤها في القمامة.
4- عند وضع مادة سامة أو ربما تكــون ضــارة فـي أوعية مواد نافعة ، كالكاز - أو سائل التنظيف الأبيض - في زجاجات المياه الفارغة ، يرجى وضع ملصق صغير يبين ما بداخل الزجاجة مثلا (كاز) أو (سائل تنظيف) حتى يـتـجـنـب الـكـبار تناولها ، ورفعها في أمكن عالية بعيداً عن الأطفال ، لا سيما وأن الأطفال لا يقرأون ما بداخلها.
5- عدم وضع المواد السامة قريباً من المواد الغذائية.

6- تربـيـة الطفل - عملياً - مبدأ مهم وهو أنه ليس كل ما تقع عليه اليد يصلح للأكل ، وتبيان مخاطر المواد السامة للطفل إذا كان في عمر يدرك معنى الكلام.
7- فيما يتعلق بالأدوية بالذات ، نؤكد على ما يلي :
- الاحتفاظ بالأدوية بعيداً عن متناول الأطفال مهما كان الدواء.
- استعمال الأوعية التي يصعب على الطفل فتحها وعدم ترك الأدوية متناثرة . وعادة ما تصرف الأدوية في مثل هذه العبوات التي يصعب فتحها.
- عدم استعمال أي دواء فقدت أو تلفت الكتابة التي تحدد اسمه.
- عدم وضع أدوية في زجاجات أدوية فارغة أخرى.
- عدم إعطاء الدواء إلا للمريض، وعــدم إعـطــاء أي طـفــل آخر دواء أخيه دون استشارة الطبيب.
- عدم إعطاء الأدوية للأطفال في الظلام ، إلا بعد التأكد من اسم وكمية الدواء واسم الطفل على الزجاجة.
- عدم خداع الطفل أن الدواء هو حلوى أو شراب بل يجب خلق الثقة بين الأبوين والطفل ويجـب أن نـبـين للطفل بكلام بسيط أن هذا دواء يشربه ليزول مرضه ، نشرح له هذا بلغة بسيطة يفهمها ما أمكن.
- الانتباه إلى أن الأطفال يقلدون الكبار في تناول الأدوية : فالطفل يرى جده يتناول بعض حبوب القلب قد يتناول بعض الحبات التي ربما تقتله.
- عدم ترك الزجـاجـات الفـارغـة أو الأدويــة التي انتهت صـلاحيتها بين يدي الأطفال يلعبون بها ، بل يجب التخلص منها بشكل جيد.

منتدى القراء

تعقيب على مقال :
هل هناك صحافة إسلامية ؟

فقد قرأت ما كتبه الأخ عبد القادر حامد في مجلة البيان العدد 37 تحت عنوان (هل هناك صحافة إسلامية؟).
وقد أثار الأستاذ عبد القادر في هذا المقال مـشـكـلـة خطـيرة يجب ألا تغيب - عن بال أي مسلم فضلاً عن الدعاة والمفكرين ، وهي مشكلة محدودية الطـرح والمعالجة لكثير من قضايا الإسلام المصيرية والبالغة الأهمية في الصحافة الإسلامية.
ولا شك أن هذا القصور في الطرح والمعالجة في الصحافة الإسلامية ليس ناتجاً عن عجز في الطرح أو جهل فيما يجب أن يطرح من قضايا وإنما هو قـصـور نـاتـج عن ترجيح مصلحة الاسـتـمـرارية فـي الكتابة والوصول إلى كل مسلم في كل بلد إسلامي . ولا شــك أن الله لا يكلف أحداً ما لا يـطـيـق ،

ومـا يطلبه الأخ عبد القادر ومعه كل مسلم غيور ليس في طاقة مثل هذه المجلات ولكن هل نعـذر أمــام الله سـبـحانه وتعالى بهذا أم أننا مطالبون بالعمل على إيجاد وسائل أخرى يمكن أن نطرح مثل هذه القضايا فيها بحيث تصل إلى كل مسلم.

لا شك أننا مطالبون بذلك كما لا أشك أن الـمـسـلـمـين هم أولـوا الألباب والعقول التي لن يعجزها - بحول الله وقوته - أن تجد مثل هذه الوسائل وإن ممـا يـدور في خلد كثير ممن يحملون هم الدعوة إلى الله أن توجد إذاعة إسلامية تقوم بهذا الدور بحـيـث لا تـمـر مثل تلـك القـضـايـا على مقص الرقيب أو منفذ الحدود في طريقها إلى كل مسلم ولا شك أن هذه الفكرة و أمثالها صـعـبــة التحقيق لوجود كثير من العوائق التي من أهمها القاعدة الصالحة للانطلاق منها والتمويل .. الخ . ولـكـنـهــا عـلـى آية حال ليست مستحيلة إذا ما وجدت رجالاً صادقين يقدرون الدور الذي يمكن أن تقوم بـه ويبيعون أنفسهم لله ، وإني فـي هذه الـمـنـاسبة أدعو الإخوة الفضلاء في المنتدى الإسلامي إلى تبني مناقشة هذه الفكرة ومــدى تطـبيقـهـا خـاصـة وأن مــن أهم ما يجب أن يراعى في ذلك أن تكون في أيد تحمل عقائد صحيحة حتى لا تكون طامّة على المسلمين.

عبد الله بن حمد السكاكر

البيان : لقـد وضــع الأخ الكريم إصبعه على لب المشكلة ونحن نشاركه ذلك ، ولكن كيف يتجاوزها المنتدى أو غيره ؟ وهل يستطيعون ؟!

تعقيبات على بعض ما جاء في العدد 38

ورد في ص 83 في نهاية المقال لـفـظ (تقنين شرع الله) والصواب القول : تطبيق شرع الله ، أما التقنين فلا ، ولعلها زلة **قلم**.

وفي ص 85 حديث عائشة في خيل سـلـيـمـان وهــو حـديـث صـحيح كما في آداب الزفاف للألباني ص 170 (الطبعة السابعة المكتب الإسلامي) والمشكاة (2/ 974) وصحيح أبو داود (3/932).

وأما حديث »نعم الجمل جملكما.. « فضعفه الهيثمي فـي مجمـع الزوائد (9/ 182) لكن ذكر رواية للطبراني في الأوسط وحسن إسنادها وهي :

عـن الـبـراء بن عـازب قـال: كـان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يصلي فجاء الحسن والحسين أو أحدهما فركب على ظـهــره فكان إذا رفع رأسه قال بيده فأمسكه أو أمسكهما قال : نعم المطية مطيتكما وانظر روايات غير هذه في المجمع . وعند الترمذي وضعفه وهو كـمـا قــال عن ابـن عـبـاس - رضي الله عنه- قال كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حامل الحسن بن

علي على عاتقه فقال رجل نعم المركب ركبت يا غلام فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- : ونعم الـراكـب هــو« جامع الأصول (9/37) والمشكاة (3/1739) . ورواه الطبراني بقصة لكنها ضعيفة (مجمع الزوائد 9/182).
وقصة النبي -صلى الله عليه وسلم- عـنـدما أطال السجود لوجود الحسن أو الحسين على ظهره مشهورة صحيحة كما رواها الـنـسـائي (1/146 صحيح النسائي) وانظر صفة الصلاة للألباني (ص 148 ط مكتبة المعارف).
وحـديـث »كـفــوا صبيانكم..« أصله في الصحيحين بلفظ »إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم فإن الـشـيـطـان ينتشر حينئذ فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم ، واغلقوا ..« وفي رواية البخاري :»..واكفتوا صبيانكم عند المساه فإن للجن انتشار أو خطفة..«
وفي ص 58 حديث »لأن يمشي أحدكم مع أخيه..« أورده الألباني في الصحيحة (906) لكن الصواب أنه ضعيف انظر النافلة في الأحاديث الضعيفة والباطلة تأليف الجويني (2/180) والرواية التي عندهم بلفظ (شهر) وفي المجلة بلفظ شهرين.
وفي ص 59 حديث »الخلق كلهم عـيـال الله..« ضـعـيـف انـظــر الـسلسلة الضعيفة (4/374) والـنـافـلـة للجويني (53/2) لكن ثبت لفظ »خير الناس أنفعهم للناس« كـمـا فـي الـسـلـسـة الصحيحة (426) (1/712).

الدولة العثمانية
في محكمة التاريخ

عابد حميان

من المفارقات العجيبة حقاً في عالـمـنـا الـعـربي الإسلامي اليوم من يوجه إصبع الاتهام إلى الدولة العثمانية وسلاطينها ، لما لحق بالعالـم العربي والإسلامي من رزايا وتسلط وانحطاط ، ولعل من أخطر هذه الاتهامات وأشنعها على التاريخ فضلاً عن الإسلام أن هذه الدولة لم تكن في يوم من الأيام تمثل الخلافة الإسلامية بشكل أو بآخر ، إضافة إلى ذلك أنها جهاز استعماري استبدادي ، وأن سلاطين آل عـثـمـان ظـلـمـة مـسـتـبدون كانوا يلقون خصومهم بالعشرات وإن شئت بالآلاف في البوسفور ، كما كانت لها قوة ضـخـمـة تشتغل بالتجسس وتصادر الحريات العامة في جميع الأقاليم التي كانت خاضعة لصولجانه.
والحقـيقـة أن هذه الافتراءات فات أوانها وأصبح بطلانها من نافلة القول ، وإن كانت من النظريات الدخيلة التي يحاول الغزو الفكري والتبشير إذاعتها في الأوساط العلمية ، ولكن لا بأس أن نوضـح ثم نصحح تلك المفاهيم متوخين في ذلك القدر الكافي في استنطاق أحداث التاريخ.

ومن الآراء التي تـفـنـد هـذه المزاعم مقال طويل كتبه عبد الله النديم في مجلة »الأستاذ« عام 1893 هـ جاء فيه : »لو كـانـت الدولة العثمانية مسيحية الدين لبقيت بقاء الدهر بين تلك الدول الكبرى ، ولكن مغايرة الدين وسعي أوربا الحثيث في تلاشي الدين الإسلامي أوجب هذا التحامل« . أما محمد عـبــده الـذي قال أثناء إقامته في بيروت عام 1889 : »إن الدولة العثمانية وحدها المحافظة على سـلـطـان الدين الكافلة لبقاء حوزته وليس للدين سلطان في سواها«.
أمـا مـسـألــة مـا يـقـال عن الدولة بأنها كانت تمارس الاستعمار فإنها فكرة مردودة بحكم التاريخ ذلك أنّ الدولة العثمانية عملت على توحيد الشعوب الإسلامية تحت سلطة واحدة محاولة الالتقاء والتكامل بين عناصر الأمة الواحدة من عرب وترك على إثر ضعف المماليك وتعرض بلاد الشام للـغـزو الـصـلـيـبـي فـي القرن السادس عشر ويؤكد العديد من المؤرخين والباحثين المنصفين أن هذه الدولة قد حمت أكثر من خمسة قرون ظهر العالم الإسلامي من الغزو الصليبي الاستعماري فما إن سقط أسـطــولـهـا البحري عام 1837 حتى دخلت فرنسا الجزائر بحملة عسكرية بعد ثلاثة سـنـوات (1830) ثـم تـونـس (1881) ثم انعقـاد مؤتمر برلـيــن الاسـتـعـماري عام 1878 الذي يرمي إلى تقسيم ممتلكات الدولة التي كانت تعـرف »برجل أوربا المريض« حسب زعم تلك الدول.
ويعتبر تاريخ الـقــرن الـسـادس عـشــر والسابع عشر بداية التآكل على المستويين الداخلي والخارجي بعد مدٍ وجزر ... وتقدمٍ وتـأخـر ... وإشراق ونكوص ... انتصار وخيبة ... فتح واسترداد .. وقد حكمها خلال القرون المتعاقـبـة الـعـديـد مـن الـسلاطين ، منهم من امتاز بعـظـمـتـه كالسلطان مراد الرابع الذي حكم للفترة 1633 - 1640 م والـذي اسـتـطـاع أن يخلص بغداد قبل موته بسنة واحدة من سيطرة الفرس الصفويين الثانية على العراق وذلك سنة 1638 م . فاقترن اسه بعد ذلك بـ (فاتح بغداد) . ومن السلاطين الآخرين - من امتاز - بقله تجـربـتـه ، وضـعـف شكيمته كالسلطان مصطفى الأول الذي حكم للفترة (1622 - 1623) فقد تدخل الجيش فـي شــؤون الدولـة . كما يحتفظ التاريخ للشعب التركي المسلم بمزايا عديدة منها أنه شعب مناهض متحمس طـمـوح فـيـه روح الجهاد وكان سليماً بحكم نشأته وقرب عهده بالفطرة والبساطة في الحياة.
لـقـد لـعـبـت الـطـائـفـة اليهودية المعروفة بـ (يهود الدونمة) دوراً خطيراً في تأليب الوضع السياسي داخل الـدولــة بحيث كانت صاحبة اليد الطولى في إنشاء حزب الاتحاد والترقي المتشبع بالعصبية الطورانية المعادية للعروبة و الإسلام حتى يومنا هذا.

شجاعة....

عبد الله العنزي

طلب مقابلتي على وجه السرعة على أن يكون اللقاء انفرادياً ، قـلـت : عـسـى أن يـكــون الأمر خيراً ، قال أمر هام وسأخبرك عند لقائنا.
حـضـر قـبل الموعد المضروب وبعد مجاملات الاستقبال قال بصراحة أريد منك أن تخبرني بعيوبي فـإني أثـق فـيـك وفي تقويمك ، تملكتني الدهشة لعلمي بمدى الحواجز بيني وبينه ولعلمي بطبيعته الشخـصـيـة الـتـي تـأبـى النقد وكشف عيوبها ، ولهذا كانت نبرة صوته المنقطعة توحي بمدى المعاناة في قهر كبرياء النفس ، وبعد أن أفقت من لحظة المفاجأة خطر في بالي أن أجامله وأقول له بأني لا أرى فـيـه عـيـبـاً واحــداً يـسـتـحق الذكر ، ولكن الله عصمني من هذه الزلة - وهي كتمان النصح للمسلم - فبدأت أذكر له عـيـوبــه عـيـباً عيباً مـسـتـدلاً لـكـل عيب بموقف يبرهن على وجوده فيه ، شكرني بحرارة ثم انصرف واعــداً بتلافي تلك العيوب.
كـم نـحـن بحاجة إلى مثل هذا الأخ الذي يطلب النصح ممن يراه قادراً عليه ، كـم نـحـن بحاجة إلى قهر كبر النفس وعجرفتها في هذا الأمر ، كـم نـحـن بـحـاجة إلى أن نكون مثل هذا الشخص.
إن مـمـا يـحـز فـي النفس أن يمضي الإخوة في الله سنين دون أن يبدي واحدٌ منهم لأخيه عيوبه مع كونه عـالـماً بها ، إن هذا الموقف حتم علي الكتابة لكم حتى يُقتدى بهذا الأخ والله من وراء القصد.

زوجة الداعية

عبد الله الشرايده

إن محاسبة النفس مراراً وتكراراً تساعد على الرقي بمستوى الداعية وبالتالي دعوته ، ومن محاسبة النفس أن يسأل الداعية نفسه :
ما هو دوري تجاه زوجتي؟
هل قمت بنصحها وإرشادها؟
قد يظن ظان أن دور الداعية ينتهي مـنـذ أن يـعـثر على تلك الشابة الملتزمة بدين الإسلام والتي ارتضاها شريكة حياته دون سائر الفتيات . ولـكـن هــذا هو جزء من الدور ، والدور الحقيقي هو متابعة النصح والإرشاد بعد الزواج ، بالأسلوب الـمناسب وبالقدوة الصالحة.
ومتابعة النصح والإرشاد لا تعني المطالبة بأن تكون الزوجة كامـلة ولكننا بحاجة ، في هذه الفترة بالذات (فترة بداية الدعوة) ، إلى أن تكون زوجة الداعية قــدوة بمـعـنى الكلمة وإلا فإن أول أثر سيئ لها سيكون على زوجها حيث ستعيقه عن الاستمرار في حمل دعوته.

ثم إنّ الداعية الذي يخل بتربية زوجته ، أو يتساهل في تعليمها المبادئ الأساسية في حياة الدعاة إلى الله ستخذله هذه الزوجة في وسط الطريق وهو في أمس الحاجة إليها ، وسيضطر إلى أن يلتفت إليها ويعاود نصحها وإرشادها بعد أن خسر الكثير . كما أن نقـص الـمـفاهيم الأسـاسـية عندها قد يتسرب إلى زوجات الدعاة الآخرين ، وبذلك يكون الداعية قد أضـــر بدعوته مـن حيث لا يدري ، كما أنه من الواضح أنّ الداعية الذي يصلح نفسه وزوجته ، سيشجع الآخرين ولا شك علي إصلاح زوجاتهم ، لذا فإن مسؤولية تربية الزوجة مسؤولية عظيمة.

إنّ بـعـض الدعاة يظن أن الرحمة والرأفة يتعارضان مع النصح والإرشاد وهذا بلا شك فهم خاطئ ، لأن الرأفة والرحمة هما من أساليب التربية وليستا مانعين لها أو متعارضين معها . بل أنّ بـعـض الـدعـاة يظن أنّ تربية الزوجة على الأخلاق الاجتماعية الفاضلة مثل صلة الأرحام وبر الوالدين والإحسان إلى الناس والقيام بحقهم وإيثارهم وتحمّل أذاهم و... ، قد يعدّ ذلك تدخلاً في شـــؤون النســـاء الـداخلـيـة ، وهذا أيضاً فهم خاطئ لأن ذلك من تمام القوامة التي أمر الله بها والله أعلم ، ولأن الزوجـــة التي تخـل بالأخلاق الفاضلة ستكون عائقاً في وجه اقتداء الناس بها وبزوجها.

إن المفاهيم التي يجب أن تعيها زوجة الداعية كثيرة ، نذكر منها ما يلي باختصار :

أولاً : اقـتـضاء العلم العمل . وهذا مطلب للجميع وإن تطبيقه في الواقع مما يشجع الداعية وزوجته ويشيع روح التفاؤل في الأسرة.

ثانياً : »من حـســن إســلام الـمرء تركه ما لا يعنيه« وهو حديث شريف إن عمل به الداعية وزوجـته عصمهما الله من كثير مـن الـذنوب والمعاصي كالغيبة والنميمة والحسد وما سوى ذلك.

ثالثاً: »لا يؤمـــن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه« وهذا أيضاً حديث شريف يعين على مكارم الأخـــلاق كالإيثار ومحبة الخير للناس والفرح لفرحهم والحزن لحزنهم ... إلى غير ذلك من الخصال الاجتماعية الطيبة.

بريد القراء

وردتنا رسالة من مدير مكتبة التراث الإسـلامي في مصر يعترض فيها على ما ورد في البيان عـــدد (40) فـي نقد الأستاذ محمد عبد الله آل شاكر لصنيعهم ببعض الكتب ، فـعـرضـنـا الرسالة على الكاتب وتفضل بالرد التالي :

... اطلعت على مـا فـي الـرسالة التي جـاءت إقراراً آخر على ما قلناه ، فهو قد دافع عن عمله في كتاب »السحر والكـهـانـــة« وقـال : إنـه مجمع من كذا ... والمأخذ كان على عملية التجميع هذه . وإن كان قد كتب في مقدمة الكـتـاب ما يوضح من أين أخذه ، فإنه في كتب أخرى - لم يشر إطلاقاً إلى

ذلك . ومثاله الكـتاب الذي يلي هذا مما أشرت إليه في المقال، وهو ما أصدره عن »أشراط الساعة« وقد أخذه مـن : »لـوامـع الأنوار البهية« للسفاريني ، دون أية إشارة ، وينبغي التصريح بذلك على الغلاف ، ولا تـكـفـي إشـارة عابرة على استحياء داخل الكتاب . وقد أشرت في مقالي إلى النوعين من العمل ، ولكن الأخ الـنـاشـر لم يقرأ ما كـتـبـته جيداً . أما مقدمة الدكتور محمد جميل غازي (رحمه الله) فهي رأي تشـجـيـعـي للأسـتـاذ حجـاج ، ولا تعني بحـال تسويغاً لهذا العمل على هذا النطاق الواسع في تفتيت الكتب حتى يصبح الكتاب الواحد كـتباً عدة ، دعك من إضافة فصول من كتاب لمؤلف إلى كتاب لمؤلف آخر - مما ذكره الأستاذ حجــاج نفسه - فأصبح الكاتب مهجّناً .. أليس هذا هو العبث بعينه، وقـد أقــر الأسـتـاذ بنفـسـه؟! وعلى كـل حال؛ إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت.

غربة

شعر عبد الله الخميس

يستوي الليل عنده والصبــاح ومـــــن العيش بالممات يراح
يعتريه الأسى ويكســوه حزن ويُـــــرى منه صبره والكفاح
ملء عينيه سؤله كيف صـارت من هدي الله أمـــــة تستباح؟
غـارة لــوعــة وظـلـم كـبـيـــر ولهـيـبٌ وخـسّــَـة اجتياح
صـرخة دمـعـة وذل عـظـيـــم ودمـــاء وحــــسرة وجـــراح
داعـي الـخـير ناله الظلم ممَّـن قـلـبه للـفـــساد والظلم سـاح
صوتهم في الخفا وإن جُنَّ لـيـلٌ يملأ الكــون في الظلام النِّـباح
أيها الطامعون -لا- لــن تـنالوا مطمعاً فارجعوا إلى من أباحوا
ارجــعــوا أيـهــا الـطــغـاة وإلا سـيـنـال الـرقاب منكم سـلاح
سوف يبقى الدعاة كي يطردوكم مـثـلـمـا يطـرد الظلامَ الصباحُ
ويـعـود الـربـيـع مـن بعد غيثٍ وتـولـي أدبـارهـنَّ الـريــــــاح

الورقة الأخيرة

كذب وكذب!

عبد القادر حامد

هل كان الغرب ينتظر هذه النتيجة : انهـيـار وانهـزام الشـيـوعية كنظام ؛ ومصير الاتحاد السوفييتي إلى بوابة المجهول ؟ هذا ما هو مشكوك فيه ولم يكن أكـثـر المحللين والمؤرخين دقةً يصل إلى توقع ما وصلت إليه الأمور هناك ، ولعل في هذه النهاية عـبـرة لـمن يريد أن يبني نظاماً على فلسفة الكذب.

إن العقـيـدة الـشـيـوعية اتخذت من الكذب أساساً تقيم عليه تصورات ، ووسيلة تثبت بها أركانها في حياة الناس ولا شك أن ما بني على باطل فهو باطل ، وهو - وإن غرّ كثيراً من الناس بمظهره وتزويقـاته وألاعيبه - سيصل إلى نقطة يتعذر عندها الاستمرار ، وسيقف ثم يسقط . وهذا بالضبط ما حصل في دول أوروبا الشرقية وفي الاتحاد السوفييتي. فآلة الدعاية استنفدت أغراضها ، فماذا ينفع الشعب القول له : إنــه عظيم ، وإنه جبار ، وإنه دولة قوة عظمى ، وإن جيشه يعد كذا وكذا ومسلح بكيت وكـيت من أسلحة الدمار النووية ومن الصواريخ العابرة للقارات وهو شعب جائع ، عارٍ ، مقـهـور مـحــروم من أشياء يراها عند غيره من الشعوب ، قربتها إليه وسائل الاتصال ، يراها كالأحلام ، وتـصـل حقائقها إليه عبر الحقائب السوداء ، والأسواق السوداء ، فلا يستطيع عنها صبراً ، وكيف يصبر ؛ وقد اسـتـمـرت "الاشـتـراكـية" تلح عليه ليتخلى عن عقيدة الصبر التي غرسها فـي وجـدانــه »الإقطاعيون والبورجوازيـون ورجـال الدين!« ثم بعد ذلك تكتشف هذه الجماهير المضللة أن الذين يتقلبون في ثمار البورجوازيـة والإقـطـاع هـم »مـبشـرو الشـيوعية« أنفسهم : فهم تجار السوق السوداء ، وتجار الحقائب : دبلوماسية وغيرها ، وهم اللـذيـن يتـشـدقــون بألفاظ واصطلاحات مثل : »الطهر الثوري« و »المناقبية« بينما هم يعيشون أضدادها ، ويتضـمـخــون بنجاساتها.

قـد يـمـكـن لأنظـمة صغيرة العيش في ظل سياسة الكذب ، ولكن القوى الكبرى لا تستطيع ذلك ، وذلك لأن الأنظـمـة الصغيرة - عادة - ما تنبري قوى أكبر منها تسندها ، لأن في إسنادها ضمانة لمصالح هذه القوى أو بعضها ، ولهذا فإن كيانها لا على الكذب الخالص ؛ بل على مصالح حقيقية، سواء كانت هذه المصالح مكشوفة ، أو مستترة . ولكن من ذا الذي يستطيع أن يسند نظرية كذبها العقل قبل أن توجد ، وكذبها الواقع بعد أن أوجدت ؟! من ذا الذي ينفخ الحياة في جسم ميت؟!

وكذلك فإن الكذب على بـضـعـة ملايين أسهل منه على عشرات الملايين ، والكذب المنوّع أرجى للقبول من الكذب ذي اللون الواحد . فلو نظرنا إلى الأهداف التي من أجلها يكذب ويتكاذب (1) الناس خلال سبـعـيـن سنة (وهي عمر الشيوعية العقيم) في مجالين : العالم العربي ، والبلاد التي شاعت فيها هذه العقيدة ؛ لهالنا تنوع الأهداف في المجال الأول ؛ وتفردها وجمودها في المجال الثاني . فـمـثــلاً في المجال الأول نجد غنى وتنوعاً في هذه الأهداف : التحرر وطرد الاستعمار ، الدخــول في العصر الحديث ، رفع راية الإسلام ، رفع راية القومية العربية ، الوحدة العربية ، تحــريـر فلسطين ، بناء المستقبل ، تحرير الأرض ، إزالة آثار العدوان ، الصمود والتصدي ، التوازن الاستراتيجي ، السلام القائم على العدل ، السلام ، الوفاق ، ...الخ... أما في المـجــال الثاني

: فهو هدف واحد يبدأ من البروليتاريا وإليها يعود ، ويدور حول البيان الشيوعي وأسـطـورة وحدة عمال العالم ووحدة العمال والفلاحين.
ما أغنانا بالأهداف والأساليب!
وما أفقر الشيوعية والشيوعيين.
ولا عجب! فأرضنا مهد الحضارات ، ونحن أساتذة العالم ! أليس كذلك؟!

الهوامش :

1- التكاذب : أن يكذب كل واحد على الآخر ، أو كل جهة عل الأخرى ، وهما يعلمان أن كلاً منهما كاذب ومكذوب عليه.

تمت بعون الله والحمد لله
